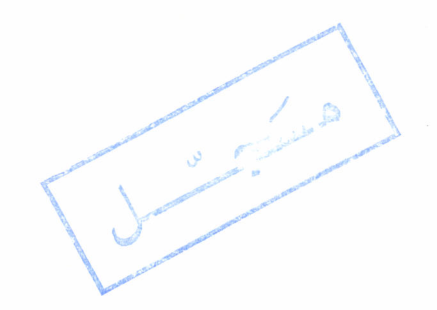
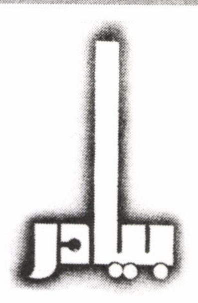



بسم الله الرحمن الرحيم





ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي
العدد السابع عشر . ذو الحجة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م



نادي أبها الأدبي - أبها - ص .ب ٤٧٨ - تليفون : ٠٧٢٢٤٤٢١٠. / ٠٧٢٢٦٣٥٩٧
فاكس : ٠٧٢٢٦٢١٦٥ - المملكة العربية السعودية
PUBLISHEDBY ABHA LITERARY CLUB P.O Box : 478 Tel : 072244210 \ 072263597
Fax : 072262165 ABHA . SAUDI ARABIA

رقم الإيداع: ١٤/٠٠٥٣
ردمـــك : ٣٥٠ - ١٣١٩ ISSN

# محتويات ملف النادي بيادر العدد (١٧)

# إشـــارات

المشرف العام

* عام جديد . . ومرحلة متجددة من هذه الفصلية نرجو أن تكون إضافة جيدة لما قبلها وقفزة إلى الأمام لما بعدها . . وهذا لا يتأتى إلا بعون الله تعالى ثم بتعاون القراء الأعزاء معنا بالرأي والمشورة والتوجيه والنقد البنّاء . . وقبل ذلك وبعده التواصل المعطاء بالبحث والقصيدة والقصة والمقال في مجال الثقافة والابداع .

* لا بد للأمة الإسلامية في مواجهة الأعداء والخصوم والمستجدات من إعادة كتابة تاريخها لأن معظم ما هو مكتوب من ذلك التاريخ نتاج شعوبيين قدامى أو شعوبيين محدثين . . وإما تلاميذ للمستشرقين ينقلون عنهم تحريفاتهم وتشويهاتهم دون وعي .

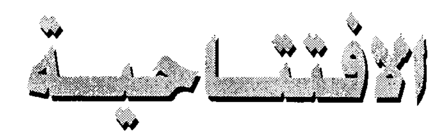
* ومن تلك الكتابات ما يركز على التاريخ السياسي للمسلمين ويهمل جوانب كثيرة مهمة ومشرقة فتبدو صفحة التاريخ أكثر سواداً مما هو في الحقيقة وخالية من ذكر الأمجاد العظيمة التي قامت بها الأمة في تاريخها الطويل من نشر الهدى في مساحة واسعة من الأرض وإنشاء حركة علمية وحضارية فريدة . . كما أن تأثيرها في ( أوروبا ) وهو تأثير ضخم لايكاد يشار إليه .

* يضاف إلى ذلك أن المهمة الأولى والكبرى لهذه الأمة هي حمل عقيدة التوحيد وتمثيلها واقعاً سلوكياً ودعوة الناس إليها والجهاد في سبيلها لاتكاد تبرز في الكتابات الموجودة بين أيدينا إلا فيما ندر . . مما يجعل تاريخنا يُقدّم وكأنه تاريخ أمة عادية . . مع أننا بصريح القرآن ( خير أمة أخرجت للناس ) ومهمتنا تختلف عن أية أمة في التاريخ . .

* لذلك وغيره لابد أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامي بأيد أمينة وروح إسلامية صادقة ، وعقول مستبصرة تجلي العبرة المطلوبة من التاريخ . .

* لذلك وغيره لا بد أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامي بأيد أمينة وروح إسلامية صادقة ، وعقول مستبصرة تجلى العبرة المطلوبة من التاريخ . .

* وإلى جامعاتنا العتيدة ومراكزنا العلمية والثقافية وقادة الفكر وعلماء التاريخ في بلادنا يساق الحديث . . ويوجه النداء .



# « الافتتاحية »

رئيس التحرير
د / غيثان بن علي بن جريس

* الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، أما بعد : . . . فهذا العدد السابع عشر من ملف " بيادر " الذي يصدر عن نادي أبها الأدبي في سلسلة أعداده المتصلة التي يرتجى في مسيرتها التطور والنجاح ، والثالث بعد أن أصبح صدوره كل أربعة أشهر ، وسنراه مستقبلاً ، إن شاء الله تعالى يصدر فصلياً ، ثم شهرياً . وكم كنا يامعشر الدارسين نتطلع إلى مثل هذا الملف من قبل ، فلقد شغلنا منذ زمن بهم غياب صدور مجلة في هذا الجزء الغالي من وطننا الكبير ، وإذا بيادر منذ عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م تنهض بهذا الجانب ، وتدفع ذاك الشعور ، وتسد فراغاً لم يسد من قبل ، وبخاصة في جنوبي مملكتنا الحبيبة ، إذ الحاجة قائمة إليه ، فالنهضة العلمية والحضارية التي تشهدها بلادنا تستدعي مثل هذا العمل . ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ( التوبة / ١٠٥ ) .

وإن كان حالف هذه الدورية النجاح فليس إلا بتوفيق من الله عز وجل ، ثم بتوجيه من دولتنا الرشيدة ، ومن ولاة أمورنا الذين لا يتوانون في عمل كل ما هو صالح ومفيد لخدمة الدين والبلاد ، والرقي بالمواطن علمياً وفكرياً حتى أصبح ينافس غيره في كثير من مراكز العلم والمعرفة في شتى بقاع العالم . وأملي لهذه الدورية التوفيق والنمو المطّرد ، وأن تؤدي دورها مع مثيلاتها من دوريات هذا البلد الطيب المبارك .

ونقول : - إن مما تجب الإشارة إليه في هذه الافتتاحية التأكيد على الأصالة والتنوع في مادة هذا الملف ، وعلى أهدافه التي تتمثل في تحقيق الثقافة النافعة التي تتوافق وتخدم منهاج المجتمع السعودي ، وتسعى لترسيخ المفاهيم الإسلامية الصافية ، إلى جانب نشر البحوث والمقالات والتحقيقات والآراء القيمة ، وإفساح المجال للأقلام والمواهب العلمية والفنية القادرة ، وهذا كل ما نحرص عليه في توجيه وترتيب مادة هذا الملف ، وموضوعاته فلعل الله سبحانه ينفع به ويوفقنا إلى ما نصبو إليه .

وإذا كنا قد التزمنا بإثارة قضية مختارة في مثل هذه الافتتاحية ، فإن قضية هذا العدد تدور حول دراسة موضوع التراث العربي الإسلامي والعناية به . والتراث هو

حصيلة حضارية تجمعت لدى الأمم بالعلم والعمل ، فكان نتاج جهود فكرية تمثلت في الإنجازات والتجارب والخبرات والمواقف والقيم، وغدا العنصر المهم في تماسك الأمة وفي بناء كيانها الحضاري . ولعله من نافلة القول أن نسهب في بيان قيمة تراثنا ، ولا أخال أمة تضاهي الأمة العربية الإسلامية فيما أنتجت ، ويكفي إلقاء نظرة على نوعية العلوم والفنون التي اشتغل بها علماؤنا لتزيدنا يقيناً بغزارة وتنوع إنتاجنا الفكري في مختلف فروع المعرفة . وما حدث للأمة الإسلامية من نكبات وركود في أواخر العصور الوسطى وأسباب أخرى كثيرة ، كل هذا أوجد نوعاً من الاغتراب في نفوسنا تجاه تراثنا ، وأصبح الاشتغال به دعوة إلى التخلف وعدم مواكبة الازدهار، ولذا أدرنا عقولنا عنه ، وباتت عيوننا مبهورة بما حققته نهضة أوروبا الحديثة .

وفي غمرة انبهارنا هذا ، سعت مجموعات كبيرة من علماء أوروبا نحو تراثنا دراسة وتحقيقاً على مدى ستة قرون ، فكانت حملات تغريب تراثنا واستقراره في مكتبات أوروبا وخزائن كتب العالم الجديد ، حتى أحصى أحد الباحثين الغربيين أكثر من سبعمائة مكتبة وخزانة أجنبية تقتني نفائس تراثنا .

والحقيقة التي لا تنكر ، أن علماءنا ، منذ القرن الرابع عشر الهجري ، تقدموا نحو التراث ، ولكن في وهجة الحماس له ضاعت جهود كبيرة في نشره وفي الإفادة منه الفائدة المرجوة، فقد انكب العديد على نشر التراث تعميماً لفائدته ، غير أن ترقي الطباعة وتقطع أوصال الوطن العربي، وعدم وجود التنسيق بين المؤسسات والهيئات المشتغلة في نشر التراث ساهمت في بعثرة وإضاعة جهود الكثير ، فنرى الكتاب الواحد ينشر مرة في القاهرة ، ويتولاه ثان في بغداد ، وثالث في المغرب ، كل واحد من هؤلاء لا يدري عما يفعله الآخر ، ولو حسبنا الجهد والوقت الذي استنفد في إخراج أعمال مكررة لهالنا الأمر ، وقد كان يمكن أن يبذل هذا الجهد في نشر كتب أخرى ما تزال حبيسة في المكتبات والخزائن ، وفي نقد كتاب أو كتابة تعليق أو فك مغلق أو استكمال نقص في دورية واسعة الانتشار لتلافي الشوائب التي ربما علقت بالكتاب المنشور ، ثم يتوجه الباحث نحو كتاب آخر فيه فوائد جديدة وعلوم نافعة تضاف إلى ما هو منشور .

صحيح أن المعاهد والمراكز المهتمة بالتراث العربي تبذل جهوداً مشكورة للتعريف بما سبق نشره ، ولا تختلف عن بعض المراكز والدوائر الثقافية في الوطن

العربي حيث تعمد إلى إصدار بيبلوغرافيات (Bibliographies) بالنتاج الفكري ، ولكنها في مجملها تظل محدودة القدرات تعتمد على المبادرات الضرورية والجهد غير المخطط والمنهجية القاصرة ، بل أن الدوائر الثقافية أصبغت على نفسها الصفة الإقليمية ، فكل ينشر بيبليوغرافية نتاجه الفكري القطري ، وكأني بعوامل التجزئة والتقسيم قد فرضت نفسها كحقيقة واقعة على المنظور الثقافي بعد تعمقها في المفهوم السياسي .

وقبل أن نناقش بعض التوصيات والآراء التي يجب على المراكز والمؤسسات التعليمية في عالمنا العربي والإسلامي عملها والأخذ بها ، رأينا الإشارة إلى أهم مكونات ومدلولات وميادين التراث العربي الإسلامي . أما عن مكونات التراث فيمكن حصرها في العناصر التالية :-

١ - العلوم النقلية والعقلية المتصلة بالدين الإسلامي .

٢ - ما اقتبسه المسلمون وأعادوا صياغته وطوروه وزادوا عليه من علوم الأوائل .

٣ - ما ابتكره المسلمون من مناهج الفكر والعمل ، وما تركوه من الآثار المكتوبة والمصنوعة .

٤ - المواقف الاجتماعية والإنسانية والحضارية المستندة إلى مجموع هذه المكونات .

وأهم مدلولات التراث العربي الإسلامي التي يجب أن يهُتم بها وتتوجه إليها العناية هي : - مجموعة الإبداعات المتعلقة بالقيم والأفكار والمواقف وأنماط السلوك الفردي والجماعي التي ظهرت عناصرها وتنامت عبر مختلف العصور الإسلامية ، ولا تزال حية متطورة في الأمة العربية الإسلامية تشكل هويتها الحضارية كما تشكل تطلعاتها إلى المستقبل . وهذا المفهوم ليس مفهوماً ساكنا ، ولكنه مفهوم حركي نابع من استمرارية الحضارة العربية الإسلامية وديمومتها ، وحلقاتها المتصلة بين الحاضر والماضي والمستقبل .

أما فيما يتعلق بميادين التراث المتعددة والنظر إلى كل منها فيجب أن نلاحظ عدة أمور أهمها :-

١ - يجب أن لا نتعامل مع مصادر العقيدة الإسلامية الأساسية من قرآن وسنة بوصفها تراثية لأن هذه المصادر تعاليم دينية ثابتة لا تتغير ولا يجوز أن تدخل ضمن المادة التراثية القابلة للتعديل والتبادل .

٢ - لا يحسن أن ندخل العادات المحلية والتقاليد الاجتماعية المتباينة والفولكلور الشعبي في البيئات الإسلامية المختلفة ضمن المفهوم العام للتراث العربي الإسلامي الواحد بوصفه تراثاً مرتبطاً بالعقيدة والحضارة الإسلامية لأن مثل هذه العناصر عرضة للتأثر بأمزجة وتباين الجماعات الإنسانية وأساطيرها ، ولذلك فهي أقرب إلى ميدان علم الاجتماع والفلكلور منها إلى علم التراث . فعلى سبيل المثال إلى أي حد نستطيع عد قصص ألف ليلة وليلة ، التي يحتفل بها الغرب بوصفها تراثاً عربياً إسلامياً نموذجاً أصيلاً من تراثنا الذي نسعى إلى العناية به واجلاله وترسيخه ؟ أو منظومات الشعر النبطي الشعبي التي تركز عليها الدراسات الاستشراقية تعبيراً مباشراً عن النفسية العربية وهي مليئة بعصبيات الماضي ومنازعاته وملامح تخلفه .

ويمكننا تحديد ميادين التراث بمفهومه الخالص في المجالات التالية :-

١ - كتب العقيدة الصحيحة التي تربط الإيمان والعمل الصالح ، وتواجه نزعات الإلحاد والشك بما تؤكده من قيم الإيمان الصادقة .

٢ - الاجتهادات في الفقة والتشريع ، وخاصة ما تعلق منها ، بميادين المعاملات القابلة للتبدل والتطور بمقتضى أحوال الزمن وتقدم المدنية .

٣ - تراث العرب العقلي في الفلسفة وعلم الاجتماع والفكر السياسي ، وهذا الجانب تم إغفاله حتى وقت قريب على الرغم من كونه من أهم عطاءات الحضارة العربية الإسلامية ومن أبرز الأدلة على استيعابها الجانب العقلي في التراث الإنساني .

٤ - التراث النحوي واللغوي والتاريخي والشعري والأدبي ، وقد نال هذا الجانب جل الاهتمام منذ مطلع النهضة إلى اليوم .

٥ - الفنون المعمارية والموسيقية والتشكيلية ذات الروح العربية الإسلامية المتميزة والتي تخطت الطابع المحلي الضيق .

وأخيراً لا ننكر بعض الجهود التي بذلت وتبذل في كثير من الدول العربية والإسلامية تجاه دراسة التراث العربي الإسلامي والعناية به ، ولكن كي نستفيد بشكل واسع من تراثنا العربي الإسلامي ، وندرسه الدراسة العلمية الجادة المتأنية ، فإنه يجب على جميع الجهات الرسمية والمراكز العلمية والجامعات ومعاهد الدراسة

والبحث في أنحاء البلاد العربية والإسلامية أن تراعى أموراً عدة من أهمها : -

١ - التنسيق بين مختلف الجهود التراثية في خطة عمل رئيسية مشتركة كي لا تتكرر الجهود فيما لا فائدة منه . ويجب أن تكون عملية التنسيق من أهم العمليات المطلوبة حالياً وأخطرها في مجال العمل التراثي لأنها تمثل في الوقت الحاضر أضعف الأعمال التراثية وأقلها حظاً من العناية ، وغيابها يكاد يمثل السمة المشتركة للعمل التراثي في أغلب الأقطار العربية ، إن لم يكن جميعها . وفي إطار هذا التنسيق المنشود يحسن أن يشمل جوانب عديدة مثل : - جمع المخطوطات والوثائق والآثار ، ثم تحقيقها ودراستها ، ولكي تكمل خطة العناية بالتراث فيجب أن تتوزع الاهتمامات والاختصاصات بين المؤسسات والمراكز المهتمة بالتراث ، فيتوجه أحد المراكز للعناية بعلوم معينة ويهتم مركز آخر بالتدريب على التحقيق العلمي ويتخصص مركز ثالث في معالجة المخطوطات ومداواتها وترميمها . . . وهكذا .

٢ - المواءمة بين قيم التراث وأصالته ومقتضيات الإسهام في صناعة الحضارة القائمة وما ينشأ معها من اتصالات حضارية مختلفة .

ولكي تتحقق التوصيات المشار إليها في النقطتين السابقتين ، فإن الدول الإسلامية بشكل عام والدول العربية بشكل خاص يجب عليها أن تتعاون في أمور عدة مثل : -

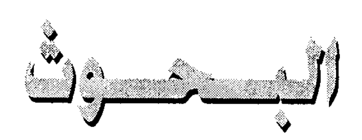
أ - إقامة قاعدة معلومات مركزية تضم المعلومات التي يمكن توفيرها في جميع مجالات جمع التراث وتصنيفه وفهرسته وتحقيقه ونشره .

ب - العمل على إيجاد إطار للتنسيق الشامل لخدمة التراث في مختلف المجالات خدمة شاملة متكاملة .

جـ - توجيه العناية في المعاهد والجامعات إلى العمل على إعداد وتخريج المؤهلين لخدمة التراث واحيائه بالمنهج العلمي السليم .

د - السعي والدعوة إلى إقامة ندوات منظمة تضم الأشخاص المختصين في موضوع التراث كي تدرس وتخطط وتقترح كيفية السبيل إلى تحقيق الأهداف والغايات لحفظ التراث والعناية به .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .


البحوث

# ربع قرن من التخطيط للتنمية (*)


## د/ عبدالوهاب عبدالسلام عطار

**معالي وزير التخطيط**


## أيها الأخوة الأعزاء ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

الحديث معكم أو إليكم عن التنمية وعن التخطيط للتنمية ، معناه أن أصف لكم ما تراه أعينكم وتسمع به آذانكم وما أصبح عنصراً أساسياً في مجريات الحياة اليومية . لا تقف التنمية عند حدود الإدراك الحسي ولكنها جوهر وصميم ، في الحياة والمعايشة وفي التعامل ، لا يكون في ظلها من الجائز أن أحدثكم عن التعليم ومنجزاته مثلاً والتنمية ونحن جميعاً ثمار من ثماره ومعطياته ، أو أن أحدثكم عن الثقافة والوعي والفكر وها هي مؤسسة ثقافية تجمعنا على هذا اللقاء . إن المسافة التي يقطعها جهد لإنجاز عمل أوالإعداد له يقطعها ، في الوقت نفسه ، توق وطموح لدى الآخرين الذين طالما تطلعوا إلى الصيغة النهائية لهذا العمل حين يبدأ في تقديم عطائه ، حتى إذا ما اكتمل ذلك العمل ، كان تتويجاً لذلك الطموح وقد بلغ مداه ، وواقعاً حياً ، كأنهما معاً - الواقع والحلم - يمضيان على مسار واحد . . وتلك إشارة إلى جانت صغير في منهج التخطيط في المملكة أعني بها اختصار المسافات بين الحاجة والتحقق .

التنمية قد تعني في معناها المباشر الزيادة العددية أو زيادة الكفاءة النوعية ، وهذا المعنى قد تقدمه معاجم اللغة أما معاجم التجربة فتقدم طرحاً آخر وتصورات أخرى . إن التخطيط للتنمية يعني أن هناك وعياً وفكراً يسبقان مواصفات الحياة اليومية ، ويستشرفان في المستقبل أنماطاً جديدة الأشكال للحياة لتهب بسخاء ما ضن به الواقع الماثل في جموده وتصديه ورغبة في تجاوزه ، هكذا يرى فريق من المفكرين

* محاضرة القيت ضمن فعاليات الملتقى الثقافي الخامس بأبها عام ١٤١٦ هـ ( ١٩٩٥م) .

أن التطور المادي لا بد أن يكون مسبوقاً بنهضة ثقافية ووعي فكري يدفعان بالحياة المادية إلى تطور من شأنه أن يلاحقهما في مسيرة واحدة وفي سياق منسجم ، في مقابل فريق آخر يرى أن الحياة ماضية بطبعها ، وأنها كلما تطورت بذاتها كلما دفعت بالناس إلى الملاحقة والمتابعة والركض خلفها في سبيل الانسجام والتواؤم معها .
على هذا القياس يأتينا التساؤل : هل هذه المنجزات ثمرة من ثمار التنمية أم هي ساحة المسئولية والريادة ، التي تستشرف أفقاً جديداً وتدعو إليه ؟ وبصياغة بسيطة هل تتطور حياتنا الحضارية على صعيد المنجز المادي فيستنهض ذلك مستويات من الفكر والوعي قادرة على التعبير عن ذلك المنجز المادي ومسايرته ، وعن نفسها . . أم أن تلك المستويات من الفكر والوعي سابقة في الأساس وراغبة في تحقيق منجز مادي جديد يكون جديراً بها ؟ . . إن تمثلنا لهذا كله وتحقيق مواقعنا على الصعيد المادي والفكري هو ما يفتح أمامنا مسافة الخطوة الأولى في التخطيط للتنمية . . من هذا المنظور ، إذا أردنا أن نقابل صورة سابقة بأخرى أسهم في صياغتها ذلك الوعي الجديد ، امتد بنا النظر من جهة في تراثنا الفكري والثقافي إلى مدى لا تحده العصور وإلى ثقافة عربية إسلامية من الأدب والفن والفلسفة أمدت بمنجزاتها وأثرت ثقافات في مشرق الأرض ومغربها وامتد بنا من الجهة الأخرى إلى ما أصبحت حياتنا الثقافية قادرة اليوم على إفرازه ممثلاً في أشكال الإبداع والفكر والعلم . . كأن الأمس يتصل باليوم والغد . . فكر عربي إسلامي تميز بتوهجه في الحاضر كما تميز بتوهجه في الماضي وتواصل من زمن إلى زمن ، وفي موازاة لذلك الفكر سنرى صوراً للحياة تباينت بين حد الكفاف وبين رغد العيش . . ليس هذا معناه أن الوعي والفكر لم يكونا قادرين على التأثير في أشكال الحياة ، وليس أيضاً معناه أن نسلم لتلقائية الحياة واندفاعها الفطري بزمام الأمور وإنما تجد هذه الرؤية الفلسفية للتطور - فلنسمها للتنمية - دعامتها فيما يقدمه الفكر الاقتصادي . . فالاقتصاد البحت يرى أن التخطيط للتنمية موازنة بين إنفاق ما تقدمه الموارد ، على خير وجه ، وبين أولويات الأهمية للاحتياجات . . كأن هذين هما جناحا الانطلاقة نحو التقدم . فكر يعي وموارد تلبي ، وإلا فلماذا لم ترتق الحياة في وقت ازدهر فيها الفكر وشحت الموارد ، أو في زمن غمرته الوفرة وتخلف فيه الفكر ، أو كأني باختصار آخر أشير إلى نعمة الله علينا في قدرتنا على تحليق متوازن بالجناحين معاً !! .

## أيها الأخوة ..

أظنني الآن قد أوضحت المنطلق الأول الذي تستند إليه مهمة التخطيط للتنمية أقصد امتلاكنا لناصية الوعي والموارد ، وإنما يأتي قبل ذلك بكل تأكيد إطار فلسفي للتخطيط للتنمية في المملكة نابع ومستلهم من الشريعة الإسلامية السمحة ومن خصائصنا الاجتماعية ، وينعكس ذلك كلّه في أهداف عامة للتنمية تنظم مهمة التخطيط ، مهمة بدأت قبل ربع قرن من الآن أي منذ عام ١٣٩٠هـ . . مهمة من بينها التخطيط المتوازن الذي يشمل كافة مناطق المملكة ويجمعها على هاجس واحد . . شريعة تمدنا بالقيم الإنسانية والأخلاقية التي تعطي لتجربة التخطيط في المملكة معناها الخاص والفريد . في إطار هذا المنهج أيضاً - نظرية وتطبيقاً - اتخذ التخطيط للتنمية في المملكة منظوراً شاملاً حيث لايتميز الجهد المبذول لمنطقة عن أخرى . . ولعلكم تعرفون - أيها الأخوة - أنه في كثير من الدول تستأثر كبريات المدن أوالعواصم بهموم التنمية لتكون مجرد واجهات جميلة فحسب وخلفها قد تتردى الحياة في القرى . ولكننا ، في إطار هذا المنهج للتخطيط الشامل ، لا نؤثر بالاهتمام مدينة دون أخرى ، أو منطقة دون أخرى حتى وإن اختلفت البرامج والمشاريع في كل منها وفقاً لاحتياجاتها أو طبيعتها . . وأظنكم لا تحتاجون إلى شاهد أو مثال ، فتلك هي روعة عسير ماض وحاضر ، ثم تلك هي نهضتها الحديثة والعصرية بكل ما أمدتها به حركة التنمية . . إنكم تعيشون فيها وتعرفون كل أسرارها فلستم بحاجة إلى إشارة صغيرة مثلاً ، إلى أن شبكة الطرق في عام ١٣٩٠هـ قد كانت (١٧٠) كيلو متراً ثم أصبحت أكثر من (٤) آلاف كيلو متر في عام ١٤١٥هـ، ولستم بحاجة إلى توضيح ما يعنيه ذلك من سهولة الحياة ويسر التنقل فيها وما يعود به ذلك من نفع أو من خير ، وقياساً على الطرق عدد المدارس وخدمات الصحة والكهرباء والهاتف وغيرها ، ليس هذا مجال العد والحصر على أية حال ، وإنما فقط كنت أشير إلى بعض التوازنات التي أقام عليها التخطيط دعائمه : توازن في توزيع الخدمات والبرامج والمشاريع بين المناطق وتوازن بين ما تقدمه الدولة من خدمات بشكل عام وبين ما تقدمه منطقة بعينها من إمكانات تتميز بها مصادرها عن غيرها ، وتوازن ثالث بين ما تخصصه الدولة من أموال للبرامج والمشاريع وبين ما تتطلع إليه أموال القطاع الخاص من رغبة في الاستثمار فيما يشكل تكاملاً للاقتصاد الوطني

وتوسيعاً لقاعدته ودعماً لقوته وتكريساً لاستغلال كل الثروة الوطنية بكل عناصرها العامة والخاصة ، على أكمل وجه .

إن هذا لا يعني ، أيها الأخوة ، أن الأمر يجري على هذا النحو فحسب ، أي دراسة لاحتياجات منطقة من المناطق . . تقدير لحجم الأموال المتوفرة أو اللازمة لتدبير تلك الاحتياجات . . تلمّس للإمكانيات المحلية المتوفرة في تلك المنطقة . . دراسة مدى مواءمة تلك البرامج والمشروعات لظروف وطبيعة المنطقة ومواردها . . وإنما تتجاوز السياسة التخطيطية التي تتبناها المملكة هذا بكثير . . فالمملكة لا تخطط لسنة قادمة ، أو لخمس سنوات تغطيها إحدى الخطط الخمسية ، وإنما تتبع سياسة تخطيطية بعيدة المدى ، وفي هذا سيتبين أن الخطة الخمسية الواحدة ، والتي ترتبط أوثق رباط بمرحلتها والظروف القائمة فيها ، هي في الوقت نفسه تمثل مرحلة من بُعد تخطيطي شامل لفترة أطول تتناغم في إطاره العام جميع الخطط لتمثل اتصالاً واحداً شديد الإحكام ، يزيد من صلابة تماسكه أن الإنسان السعودي دائماً هو المحور الجوهري الذي تتوجه إلى أمانيه وأمنه واستقراره كل أهداف التخطيط ، ومعطيات التنمية . . بمعنى أن مشروعاً يتم إنشاؤه عام ١٤١٢هـ مثلاً لا يعني أنه الاستجابة المباشرة لاحتياج مباشر كان مطروحاً في ذلك العام ، ولكنه قد يكون تأسيساً وخطوات أولى لمسار يمتد ، ربما ، إلى منتصف هذا القرن ، وكمثال أوضح فإن جامعات المملكة ، بما هي عليه الآن من كفاءة عالية ، لم تأت تحقيقاً وقتياً لطموح الأفراد في التعليم ، أو لمجرد أن تكون خدمات التعليم متوفرة أمام الجميع ، أو لمجرد استيعاب أعداد تتخرج في المدارس الثانوية كل عام فحسب ولكنها أيضاً جزء من مسار في إعداد القوى البشرية لكافة القطاعات ، ليس أيضاً كمجرد احتياج آني يلح الآن وإنما كاستطلاع لحجم أكبر من الاحتياج قد يكون مطروحاً في المستقبل البعيد، وعلى هذا يجري القياس بالنسبة لكل القطاعات حيث تكون الصورة التي اكتملت اليوم هى إحدى التفاصيل في صورة الغد .

داخل هذا السياق للتخطيط بعيد المدى ، تأتي الخطة الواحدة التي تختص بخمس سنوات كمرحلة يراعى فيها أن تكون قادرة على التعامل مع الظروف المطروحة في تلك المرحلة ، سواء تمثلت في حجم ما يتوفر من إمكانيات أو تمثلت في حجم ما يتاح من خدمات ، تأتي استكمالاً لمرحلة سابقة وتمهيداً في ذات الوقت لمرحلة لاحقة ، وهكذا قطعت المملكة مسافة خمس خطط تنموية وشرعت في

السادسة . إن هذا التواصل في العملية التخطيطية بعيدة المدى يعيدنا من جديد إلى التأمل الذي طرحناه ، في البداية عن ثقافتنا وتواصلها ، عن تراثنا الضارب بجذوره في عمق التاريخ وعن ثقافتنا المعاصرة المستشرفة لآفاق مدى بعيد ، وكأنني ، وفي هذه المؤسسة الثقافية الهامة ، في نادي أبها الأدبي ، ووسط هذا الجمع الكريم من المثقفين والمفكرين والأدباء والفنانين ، أنسب إلى المثقفين مسئولية لم ينكص عنها الفكر يوماً ، وأقدم اعترافاً بدور هذا الفكر يوماً ، وأهميته في نهضة بلادنا العزيزة .

## أيها الأخوة الأعزاء ..

كنت أقول إنني لا أحب أن أحدثكم بما تعرفون ، فإذا بي ، على الرغم من ذلك قد دخلت إلى منطقة من صميم عالمكم وألامس هواجس هي من هواجسكم وأتحدث عن مهام هي من دوركم وأطرح تصورات لا شك قد جاشت طويلاً في نفوسكم ، كذا أحاول أن ابتعد قليلاً عن خصوصية وتفاصيل العملية التخطيطية التي قد تبدو كعمليات الرياضيات والإحصاء . . وإنما من حقكم أيضاً أن تطمئنوا إلى أن هذا التخطيط يجري وفقاً لمنهجية علمية دقيقة ، لم تكن بحال من الأحوال مستجلبة من نظريات التخطيط أو تجارب الشعوب ، ولكنها نابعة من ظروفنا واحتياجنا وطموحاتنا وإن استفادت من تلك النظريات ومن الخبرة المستخلصة من تلك التجارب . . وإذا استعرضنا تجربة التخطيط للتنمية نتبين ببساطة أن لكل خطة من الخطط محاور الاهتمام الأساسية فيها . . فقد ركزت خطة التنمية الأولى في معظم برامجها على إنشاء التجهيزات الأساسية وتحسين الخدمات الحكومية ، والاستمرار في التوسع المطّرد في النشاط الاقتصادي والنهوض بمستوى الأداء من خلال تنفيذ برامج إدارية جديدة ، كما أولت خطة التنمية الأولى اهتماماً بتنمية الموارد البشرية للمملكة .

**أما في خطة التنمية الثانية** فقد كان التركيز موجهاً للتخلص من المعوقات التي واجهت خطة التنمية الأولى وذلك بتوظيف استثمارات ضخمة في التجهيزات الأساسية الإنشائية كما اتخذت خطوات تستهدف المحافظة القصوى على الموارد الهيدروكربونية وتشجيع إقامة الصناعات المستندة إلى استخدام الطاقة على نحو مكثف وتصدير منتجاتها ذات القيمة المضافة المرتفعة . وكذلك تم التركيز في الخطة الثانية على الجوانب الإدارية فحدث توسع كبير في المؤسسات الحكومية

والقوى البشرية العاملة بها . . كما سعت الخطة أيضاً إلى دعم القطاع الخاص وتشجيعه وإفساح المجال أمام المؤسسات الخاصة للقيام بدور كبير في تنمية القطاعات الانتاجية مع قيام الدولة بتقديم كل المساعدات الممكنة والحوافز المالية لها . . وإتاحة فرص الإفادة من اتفاقيات التعاون الدولية للحصول على الخبرة الفنية الإدارية .

**في خطة التنمية الثالثة** - أيها الأخوة - فقد تم التركيز على ثلاثة أهداف أساسية :

إحداث تغييرات في بنية الاقتصاد الوطني وذلك من خلال توجيه الجانب الأكبر من رؤوس الأموال والقوى البشرية إلى القطاعات الانتاجية من زراعية وصناعية وتعدينية لغرض تحقيق تنويع القاعدة الاقتصادية ، وكذلك توجيه الاستثمارات الجديدة أثناء فترة الخطة الى المناطق التي تتوفر فيها مقومات النمو وقابليتها لاحتواء المشاريع الانتاجية . كذلك هدفت الخطة الثالثة إلى التأكيد على إشراك المواطنين في التنمية والرفاهية الاجتماعية ، مع العمل على تثبيت حجم القوى العاملة على ما هو عليه خلال خطة التنمية الثانية .

**وفي خطة التنمية الرابعة** - أيها الأخوة - كان التركيز على :

- النوعية وكفاءة التشغيل وتحسين استغلال الموارد والمرافق .
- زيادة التركيز على تنويع القاعدة الانتاجية وخصوصاً قطاعات الصناعة والزراعة والخدمات المالية .
- تعزيز دور القطاع الخاص .

كما تم خلال الخطة الرابعة إضافة أربعة أهداف عامة جديدة هي :

- دفع الحركة الثقافية إلى المستوى الذي يجعلها تساير التطور الذي تعيشه المملكة .
- تنمية الثروات المعدنية وتشجيع استكشافها واستثمارها .
- التركيز على التنمية النوعية بتحسين وتطوير أداء ما تم انجازه من منافع وتجهيزات خلال خطط الدولة التنموية الثلاثة .
- تحقيق التكامل الاقتصادي والاجتماعي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

## أيها الأخوة الأعزاء ..

**طبيعي أن تجيء خطة التنمية الخامسة** بأسسها الاستراتيجية وأهدافها العامة ومنهجيتها حلقة متصلة ضمن سلسلة خطط التنمية المتعاقبة ، وامتداداً لأهدافها بعيدة المدى إلا أنها أعطت في الوقت ذاته مزيداً من التركيز للجوانب الآتية :

- ضمان الاستقرار الاقتصادي والمحافظة عليه . . عن طريق اتباع منهج مستقر للإنفاق الحكومي السنوي .
- زيادة اعتماد الاقتصاد الوطني على نشاط القطاع الخاص وامكاناته المتاحة من خلال تشجيع رؤوس الأموال الوطنية للمشاركة في الاستثمار الوطني في الداخل .
- إيجاد فرص عمل للقوى العاملة السعودية .
- إحلال المنتجات المحلية محل المستوردة ، والتغلغل الفعال في أسواق التصدير عن طريق زيادة المقدرة التنافسية للصناعات الوطنية ، ومن ثم زيادة حجم الصادرات وتحسين أوضاع ميزان المدفوعات .
- توسعة وتنويع القاعدة الاقتصادية . . عن طريق مواصلة الجهود الرامية لزيادة حجم وإسهام القطاعات الإنتاجية في الاقتصاد الوطني ، واتخاذ مبادرات جديدة تفتح المجال أمام القطاع الخاص لممارسة نشاطاته بفعالية .
- زيادة التركيز على تحقيق التنمية المتوازنة بين مناطق المملكة المختلفة .

**في خطة التنمية السادسة** - أيها الأخوة الأفاضل - والتي تستهل مسيرتها بدءاً من هذا العام ، تم التركيز على ثلاثة محاور أساسية هي :

**(أ) الكفاءة الاقتصادية :**

تركز خطة التنمية السادسة على تحقيق الكفاءة الاقتصادية في القطاعين الحكومي والخاص ، والتي تشتمل بمفهومها الواسع على الكفاءة الاستثمارية والانتاجية والتنظيمية ، باعتبارها شرطاً أساسياً لنجاح سياسات تنويع القاعدة الاقتصادية وترشيد الانفاق الحكومي وبرامج التخصيص .

**(٢) تعزيز دور القطاع الخاص في الاقتصاد الوطني :**

تعتمد التنمية بعيدة الأمد للاقتصاد السعودي بشكل متزايد على قدرة واستعداد القطاع الخاص لاستيعاب واستغلال الفرص المواتية للإسهام في النشاطات الاقتصادية المختلفة خاصة الانتاجية منها . لذا . . تضمنت الخطة العديد من الاجراءات التنظيمية والسياسات الرامية الى توسيع نشاط وعمليات القطاع الخاص في الاقتصاد الوطني .

**(٣) تنمية القوى البشرية وزيادة توظيفها :**

احتلت تنمية القوى البشرية مكاناً خاصاً على مدار خطط التنمية السابقة ، وأصبحت محوراً رئيساً من محاور خطة التنمية السادسة لإثراء السياسات والبرامج المتعلقة بإعدادها وتهيئتها للعمل ، وإيجاد الفرص الوظيفية الملائمة وتحسين الانتاجية ، وذلك عن طريق زيادة الطاقات الاستيعابية للجامعات ومؤسسات التعليم والتدريب المهني والكليات التقنية ، مع التركيز على النوعية وتطوير المناهج في كافة مستويات التعليم والتدريب ، والاهتمام بالتخصصات الملائمة لمتطلبات التنمية واحتياجات القطاع الخاص بصفة خاصة ، كما تضمنت الخطة أهدافاً محددة تتصل بإحلال القوى العاملة السعودية محل غير السعودية في القطاعين الحكومي والخاص ، وسياسات تستهدف تشجيع القطاع الخاص على إتاحة المزيد من فرص العمل للمواطنين .

أريد ، أيها الأخوة ، أن أصل من ذلك كلّه إلى أن الموارد المادية التي تنامت على مدى ربع القرن الأخير ، وأن الفعالية الثقافية والفكرية التي تأججت على مدى تلك الفترة نفسها هي التي أيضاً دعمت التجربة التنموية لتبلغ ما بلغته اليوم على صعيد الطرح النظري والتطبيق العملي .

واسمحوا لي ، أيها الأخوة ، أن أنتقل الآن إلى حديث الأرقام . . ونظراً لإدراكي بأنه حديث جاف بعض الشيء . . فسأشير باختصار إلى بعض المنجزات .

**الإنفاق على خطط التنمية :**

- بلغ حجم ما أنفق فعلياً على خطط التنمية على مدى ربع قرن نحو (٣٨٣٢٫٦) ألف مليون ريال .

**في مجال التجهيزات الأساسية :**

- ازدادت أطوال شبكة الطرق المعبدة من ( ٨٠٢١ ) كيلو مترا إلى أكثر من (٤٢) ألف كيلو متر ، كما ازدادت أطوال شبكة الطرق الترابية من (٣٥٠٠) إلى حوالي (٩٦) ألف كيلو متر .

- ارتفع عدد الأرصفة في الموانيء من (٢٧) رصيفاً إلى ( ١٨٢ ) رصيفاً منها (٤٥) رصيفاً في الموانئ الصناعية ، وبذلك ارتفعت كمية البضائع المناولة في الموانئ التجارية من (٨ر١) مليون طن إلى نحو (٣ر٣١) مليون طن بينما زادت كمية البضائع المناولة في الموانئ الصناعية من (٨ر٧) مليون طن إلى (٥ر٥٥) مليون طن .

- ارتفع عدد خطوط الهاتف العاملة من (٢٩) ألف خط إلى نحو ( ٥٣ر١ ) مليون خط .

**في مجال التنمية الاجتماعية :**

- ارتفع عدد المستشفيات والمراكز الصحية من (٧٤) مستشفى و (٥٩١) مركز رعاية صحية أولية إلى ( ٢٧٩ ) مستشفى وحوالي (٣٢٥٤) مركز رعاية صحية أولية .
- ارتفع عدد أسرة المستشفيات في المملكة من (٩) آلاف إلى ( ٤١٨٢٧ ) سريراً . كما زاد عدد الأطباء من (١١٧٢) طبيباً إلى (٢٩٢٢٧) طبيباً ، وأعضاء هيئة التمريض من ( ٣٢٦١ ) إلى ( ٦١٢٤٦ ) ممرضاً وممرضة ، والمساعدين الفنيين من ( ١٧٤١ ) إلى (٣٢١٦٧) مساعداً فنياً .
- وفي مجال الرعاية الاجتماعية تم توفير مستويات عالية من الخدمات الاجتماعية لرعاية الأسرة والطفولة والتنمية الاجتماعية فبلغ عدد مراكز تنمية المجتمع والخدمة الاجتماعية ولجان التنمية (٧٧) مركزاً ولجنة ، وبلغ عدد مؤسسات الرعاية الاجتتماعية التي تقدم خدماتها للطفل والأسرة (٧٧) مؤسسة رعاية اجتماعية ، كما بلغ عدد الجمعيات الخيرية التي تدعمها الدولة (١٤١) جمعية خيرية تشرف على (١٣٣) روضة أطفال وأندية طفل ، (٥٥) مركز رعاية صحية وعلاج طبيعي ورعاية مسنين ، وبلغ عدد الجمعيات التعاونية (١٦٤) جمعية تعاونية منتشرة في أنحاء المملكة تعمل في المجالات الزراعية والاستهلاكية والخدمات العامة .

### في مجال التنمية البشرية :

- ارتفع العدد الاجمالي للمدارس لكافة المراحل من (٣٢٨٣) مدرسة إلى حوالي (٢٢) ألف مدرسة ، بينما زاد عدد الملتحقين بالمؤسسات التعليمية من حوالي (٦٠٠) ألف طالب إلى (٩ر٣) مليون طالب تقريبا .
- وتم إنشاء سبع جامعات وأربع عشرة كلية للبنات ، فارتفع إجمالي عدد الطلاب في مؤسسات التعليم العالي من (٨) آلاف إلى حوالي(١٧٠) ألف طالب وطالبة .
- كما ارتفع عددالملتحقين بمراكز التدريب المهني من (٥٧٨) إلى أكثر من (١٠) آلاف ملتحق ، بينما ارتفع عدد الملتحقين بالمدارس والمعاهد الفنية من (٨٤٨) إلى أكثر من (٢٨) ألف ملتحق .

### في مجال تنمية الموارد الاقتصادية :

- ازداد عدد المصانع العاملة المرخصة من (١٩٩) إلى (٢٣٧٥) مصنعاً ، بلغت الاستثمارات فيها حوالي (٧ر١٥٩) بليون ريال .
- وزادت قدرة التوليد الكهربائية الفعلية من حوالي ( ٣٤٤) ميجاوات تخدم (٢١٦) ألف مشترك ، إلى نحو ( ٥٣ر١٧) ألف ميجاوات تخدم أكثر من مليونين وثمانمائة ألف مشترك في كافة أرجاء المملكة .
- تم توزيع أكثر من (٦ر٢) مليون هكتار من الأراضي الزراعية على المواطنين، مما ساعد على زيادة المساحة المزروعة من (٥ر.) مليون هكتار إلى (٥ر١) مليون هكتار أسهمت في زيادة الانتاج الزراعي وتحقيق مستوى طيب من الاكتفاء الذاتي في انتاج الفواكه والخضروات واللحوم كما تجاوزت بعض المحاصيل مستوى الاكتفاء الذاتي .
- ازدادت طاقة محطات تحلية المياة المالحة من (١ر٥) إلى (٥٠٨) مليون جالون أمريكي في اليوم تلبي احتياجات ( سبعاً وعشرين) مدينة بالاضافة إلى القرى المجاورة .

### في مجال القروض :

ساهمت صناديق الأقراض الحكومية في دفع عجلة التنمية في مختلف المجالات التي خصصت لها كالزراعة والصناعة والإسكان وغيرها حيث قدمت

خلال الخمس والعشرين سنة الماضية نحو (٢٥٨) ألف مليون ريال صرفت طبقاً مما يلي :

بلغت قروض صندوق التنمية العقارية نحو (١٠٩ر٧) ألف مليون ريال وساهمت في تشييد أكثر من (٥٠٠) ألف وحدة سكنية . كما بلغت قروض صندوق التنمية الصناعية السعودي نحو (٥٥ر٦) ألف مليون ريال وساهمت في تمويل (١٣٦٥) مشروعاً صناعياً و (١١) شركة كهرباء ، في حين قدّم البنك الزراعي العربي السعودي قروضاً بلغ اجماليها نحو (٢٨ر١) ألف مليون ريال ساهمت في زيادة المساحات المزروعة وإقامة أكثر من (٢٦٢٩) مشروعاً زراعياً متخصصاً في انتاج الخضروات والفاكهة ومنتجات الألبان واللحوم . . بينما بلغت قروض صندوق الاستثمارات العامة نحو (٥٥ر٨) ألف مليون ريال قُدمت إلى المؤسسات العامة والشركات الوطنية . . وأسهم بنك التسليف السعودي بتقديم قروض للمواطنين لأغراض الزواج والعلاج وترميم المنازل وممارسة المهن والحرف الفنية ، بلغت إجمالياتها نحو (٤ر٨) ألف مليون ريال . . بالإضافة إلى كل ذلك ، منحت برامج الإقراض المتخصصة والتي تشمل القروض المقدمة للفنادق والمستشفيات الخاصة والمخابز والمقاولين والصحف قروضاً بلغت القيمة الإجمالية لها نحو (٤) آلاف مليون ريال .

## أيها الأخوة :

كانت تلك إشارات تختزل الكثير من التفاصيل للعملية التخطيطية ككل من جانب ، ومن جانب آخر تومىء إلى خصوصية كل خطة ومنجزاتها وفقاً لمحاور اهتماماتها وأهدافها . . وبوسعكم اليوم أن تتأملوا حصيلة هذا الجهد البشري الضخم والإنفاق المالي السخي المتواصلين عبر مسيرة ربع قرن وسيعز علينا جميعاً الحصر أو الإلمام بكامل الصورة والمشهد ، لأنها إذا كانت ماثلة في الصروح الحضارية العملاقة من منجزات إنشائية أو صناعية أو زراعية ، أو في خدمات التعليم والصحة وفي التجارة وحركة المال والأعمال وسواهما ، فإنها حتماً ضاربة بجذورها في ميادين أخرى قد يصعب الإلمام بها ، في بناء الإنسان وفعاليات مجتمعنا ومدارج الرقي التي ارتقاها وطموحات تنزع للإبداع والإبتكار .

## أيها الأخوة ..

وكما أشرت ، لست أهدف هنا إلى تقديم حصر شامل بمنجزات التنمية وإنما اخترت أمثلة فقط لأشير بها إلى حركة الحياة وانتقالاتها في المملكة وإلى طبيعتها وما طرأ عليها من تطور في ظل حركة التنمية ورعاية خادم الحرمين الشريفين الدائمة لها في المملكة كلها ، فربما قدم ذلك قناعة الاطمئنان وأذكى في نفوسنا الثقة إلى أن هذه الأرض الطيبة التي لم تستسلم في الماضي لقسوة الحياة وانعقدت إرادة القاطنين بها على التغيير والتطوير والنهوض قد أفضى بنا إلى ما تشهده حياتنا اليوم من نهضة شامخة ، قدمت لكم بعد شواهدها ، وإلى أن الفكر العربي الإسلامي الأصيل الذي يمتد بجذوره في عمق ماض عريق ، منطلقاً أبداً إلى تطوير نفسه وإثراء معطياته ، ومثابراً بدأب في الوصول إلىّ ذرى جديدة ، هو الآن يدفع بنهضته في اتجاهها ، وإن أردت أن أقدم شواهده ، تطلعت في هذه الوجوه الكريمة التي حضرت وأعطتني فرصة الاستماع .

# ظاهرة العبث في الأدب العربي الحديث: نشأتها وموقف الإسلام منها

د/ ماهر أحمد الملاح

إن الأدب الحديث في بعض قضاياه يحتاج إلى معاودة الفكر لأن بعض الظواهر الأدبية باسم الحداثة خرج عن الطريق القويم ووجب على الدارسين في هذا المجال التنبيه على هذا الأمر . ونحن هنا نتناول ظاهرة من ظواهر الأدب الحديث بمنظور إسلامي والظاهرة هي ( ظاهرة العبث ) سنتناول فلسفتها ونشأتها وموقف الإسلام منها فنقول وبالله التوفيق :

هذه الظاهرة تدل من معناها اللغوي على عدم الجدوى وعدم أحقية الحياة بالاهتمام ، وهذا المفهوم قد انتشر في عالم الأدب لا سيما في القرن العشرين ، وإذا حاولنا معرفة جذورها في العربية نجد معناها في اللغة : اللعب . قال تعالى : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ (١) .

ومن معانيها أيضاً : ( الخلط ) (٢) . وبذلك يدلنا الوضع العربي للكلمة على العمل بدون فائدة ، أو عدم تحقيق الغاية من العمل ، وهذا قريب من المصطلح النقدي الحديث لمفهوم العبث .

وإذا كانت قد ظهرت نثرات في الأدب العربي القديم تدل على نزعات عبثية فإنها غير واضحة المعالم ، وكانت لها ظروفها التي تختلف عن العوامل التي شكلت الحياة في العصر الحديث ولا سيما عند الغرب ، وعلى ذلك فإن ما ظهر في العصر العباسي لايصل - حسب ظني - إلى تكوين ظاهرة لأن أشد الناس تطرفاً كان لايخرج عن حظيرة الإيمان وإذا بدرت منه هفوات تاب وأناب ولو بعد تقدم سنه يضاف إلى ذلك أن السمات الفنية لظاهرة العبث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعصر الحديث أما في الأدب العربي الحديث فقد وفدت علينا هذه الظاهرة من الغرب

«وأول من استخدم اصطلاح العبث في الأدب هو : ( ألبير كامو) في كتابه أسطورة سيزيف عام اثنين وأربعين وتسعمائة بعدالألف ) [٣] ( ويشرح ( ألبيركامو) فلسفته في العبث بأنها تعنى : استعصاء الوجود على الفهم الإنساني ، فالإنسانية في الكون أشبه بسيزيف وقد حكم عليها في الجحيم بأن تدفع الصخرة إلى القمة ، حتى إذا لامستها الصخرة انحدرت إلى السطح فتعيد دفعها من جديد ، ولم تزل في عملها أبداً ، وكل هم الإنسان : أنه يبلو قوته بجهد دائم عابث ) [٤] .

وينطلق هذا المفهوم من معنى كلمة ( العبث) ذاتها في اللغات الأوروبية والتي تعني : الفوات الشديد الذي يصل في النهاية إلى حد الاستحالة ) [٥] والظاهرة من الناحية الفكرية تدل على : ( عبث الوجود أو ( رهبة الفراغ ) في الكون رهبة يعيا بها العقل ، ومن الناحية الأخرى يقوم بتصوير الوعي الحاد بهذا الفراغ والعبث [٦] ومن المعروف أن الإنسان لا يشعر بالفراغ إلا بعيداً عن منهج الدين وشريعة الإسلام .

ومن أشد الكتاب عبثية هو ( فرانز كافكا ) [٧] ( وتبلغ الظاهرة ذروتها عند مجموعة الكتاب العدميين من أمثال بيكت ويونسكو فعند هؤلاء أن اليأس أطبق وأصبح الخلل من صميمية الحياة نفسها ، وليس ثمة خلاص إلا في التخلص منها ، وامتلأ العالم بسدود منيعة تمنع الاتصال بين البشر وأصبح أدبهم صورة من العالم كما يرونه [٨] . وانعكست هذه المعاني على الأدب العربي الحديث فأصبحت كلمة : العبث تدل على معان متعددة ، فتارة ( يطلق عليها : الطليعة أواللامعقول أو الأدب الجديد ) [٩] وإذا كانتً هذه المسميات من صميمها تقتفي أثر العبث كما وجد عند الغرب وكما تمثلته الفلسفة التي تلقفت النظرة العبثية ، وأعني بها : الفلسفة الوجودية التي ترى : ( أن العدمية تمثل الغاية المنطقية النهائية للقيم والمثل العليا التي لنا ، إذ يتحتم علينا أن نمر بمرحلة العدم قبل أن يمكننا الوقوف على ما كان لتلك القيم من قيمة [١٠] .

ولأن الظروف التي شكلت الحياة في الغرب قد تسببت في إيجاد هذه الظاهرة ولأننا تأثرنا بها فوجدت في الأدب العربي الحديث فيجب علينا أن نقف على مدلول هذه الظاهرة من حيث معناها ومنحاها ، ونوضح وجهة نظرنا لئلا تحتسب علينا موافقتنا على فلسفة العبث ومرماها ، فنقول : ما أسباب وجود العبث في أدب الغرب؟

ونرى أن السبب الأول هو : اختلال الوضع السليم في فهم الدين ، حتى أصبح يعني الهروب من الحياة ، فجاء نتيجة لذلك - كرد فعل - نبذ الدين وظهر ماعُرف ( بالعلمانية ) وبهذا اتجه الغرب كلية إلى الحياة وجعلها غاية في حد ذاتها .

وكان من أسباب العبث كذلك قسوة الحروب الطاحنة التي دارت رحاها حتى منتصف القرن العشرين ، فأصابت الغرب بالدمار والضياع ، ومع هذا الدمار تزلزل الخلق والمثل العليا وشعر إنسان الغرب بفقدان الرحمة ورأى أمام عينيه التجرد من الإنسانية في عالم يسوده الغش والخديعة ، فظن أن الحياة لا يحكمها نظام وتنكر للدين خاصة في الحرب الكبرى الثانية ( عندما وقعت فرنسا في أغلال العبودية التي فرضها عليها النازي فشعر سارتر بأنه يقرر مصير نفسه بقرار يتخذه) [١١] . فقاد ذلك أبا الوجودية إلى نبذ ما عدا داخل الإنسان يستمد منه حريته ، وكانت هذه الحرية تخبطاً من الإنسان واختلطت عليه المقاييس فتاه في سراد يبها ولم يعرف أين ينتهي ولا إلى أين يسير .

ويضاف إلى ذلك التقدم العلمي المذهل غير المسلح بالإيمان ، والذي ينتج عنه اهتزاز الثوابت ، فشعر الإنسان الغربي بخلخلة داخل نفسه ، وهزات فكرية عميقة خاصة في القرن العشرين ( ولا سبيل إلى فهم تأثيره إلا بفهم عام لنظرية النسبية . تلك النظرية التي أحدثت تغييراً أساسياً في فكرتنا عن المكان والزمان والمادة) [١٢] . فتأثر الأدب الغربي بالاكتشافات العلمية التجريبية وأصيب من جرَّاء ذلك بالتشكك وتخلي عن اليقين والرأي القاطع ونظر إلى الحياة على أنها قابلة للتغيير وفق التطور العلمي وقوى ذلك ودفع إليه : ( اكتشافات علمية أجبرت حقائقها العلماء على التخلي عن آرائهم في العلم وما تضمنته نظرتهم إلى الطبيعة . . فطرحت جانباً تلك الفروض والقواعد . . وبدلا من اليقين أو العلة والمعلول رأت أن أصغر وحدات المادة والطاقة ليست إلا مجرد احتمالات ، لذلك فإن النتائج المترتبة عليها يكتنفها الشك [١٣] .

لكل ما سبق ظهر العبث ظاهرة فنية في أجناس الأدب الغربي ، ولنا في هذه الظاهرة وجهة نظر .

فإن الكلام الذي قيل في مواجهة الحياة من الفلسفات التي تلقفت العبثية في الأدب . ووظفته لخدمة أهدافها فيه مغالطة . . ولنا أن نتساءل : ما الذي يحد من

حرية الإنسان إلا الفهم الخاطئ ، وما اللاشيء الذي تحاول الفلسفة الوجودية أن توهمنا بأنه الدين ؟ إن هذا الفكر يخدع الإنسان ويجرده من الركون إلى مافيه غاية المعرفة وعندما يشعر الإنسان بالوحدة والفزع والتخبط ، يمتدح تصرفاته ويطلق عليها : طريق الوصول إلى المعرفة . . وكان طبيعياً من جرّاء ذلك أن تثار مشكلات قديمة فندها الدين وهدم حجمها الواهية ، وهذه المشكلات هي : ما الغاية من الوجود؟ والقلق من الفناء والموت ،وتبع ذلك فكرة تفاهة الحياة . . إلى آخر هذه الأفكار .

وهنا يكمن أمر التضاد وأساسه فيما استند إليه العبثيون ، إذ كيف يطالبون بأن يركز الإنسان اهتمامه على خوض الحياة والركون إليها دون سواها ( وطرح الدين والأخلاق ) [١٤] وأن الإنسان سيد نفسه ، ثم بعد ذلك عندما يتعصى الوجود على إدراكهم يرون ( من خلال العبث ) عدم القدرة على التكيف مع الحياة ، وأن الدنيا قاسية لا أمان لها فهي سرعان ما تنتهي وتزول ويفاجئنا الموت .

وقد دفع ذلك الفهم الخاطئ العبثيين إلى الضجر والعذاب والرفض والاحتجاج إذ أدركوا أن الحياة لا فائدة منها وغير جديرة بالاهتمام أو الإقبال عليها فهي تسحق دون رحمة ولا تعبأ بعواطف الإنسان ومشاعره .

وهذه النظرة العبثية لم تنبت في الشرق الإسلامي . وذلك بسبب نظرة الإسلام التي تأخذ مفهوماً مغايراً لما سار عليه العبثيون ، لأن الإسلام يطالب بالدين والدنيا معاً ، بمعنى أن تتحقق سعادة الإنسان من خلال تحقيق توازن ينتج عنه فلاح الإنسان في الدنيا من خلال الدين الذي ينظم أموره ، ويُعَدُّ ترك الدنيا والإقبال على العبادة فقط وإهمال شؤون الحياة أمراً مرفوضاً ، وتخبرنا السيرة النبوية المطهرة عن نهي الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) لمجموعة الشبان الذين أرادوا هجران الدنيا والتفرغ للعبادة فيما رواه البخاري : ( عن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ( صلى الله عليه وسلم) يسألون عن عبادة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) فلما أخبروا كأنهم تَقَالّوْها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ( صلى الله عليه وسلم ) وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . . . فجاء الرسول ( صلى الله عليه وسلم) فقال : أنتم الذين قلتم : كذا

وكذا ؟ أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) [١٥] .

وعلى ذلك فالعبادة التي تقطع صلة الإنسان بالدنيا في نظر الإسلام غير موجودة ويزيد على ذلك أن السعي في الدنيا في نظر الإسلام عبادة وليس أدل على ذلك من الحديث الشريف : ( من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له ) [١٦]، وهذا المعنى ما حدّث به رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فيما رواه كعب بن عجرة - رضي الله عنه - : ( قال مرّ على النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل فرأى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (إن كان يسعى على وُلْده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهوَ في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله [١٧] .

وبإيجاز شديد توسط الإسلام في نظرته ومنهجه بين المادية والروحية ، وبذلك لبى حاجة الإنسان المادية ولكن عن طريق قنوات شرعية تنظم سلوك الإنسان وترتقي به . . وجعل الإسلام لكل من الدنيا والآخرة جانباً من اهتمامات الإنسان بحيث لايطغى جانب على آخر ، وليس أدل على وسطية الإسلام في منهجه من قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ [١٨] وبذلك أخذ كل اتجاه حقه ولم يطغ على غيره ، وبذا نرى ترك الدين والعمل للدنيا وحدها أمراً مرفوضاً ، وترك الدنيا والعمل للآخرة فقط مرفوضا أيضاً ، وهو ما يتجسد في قوله تعالى : ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾[١٩] . . . الخ الآية وحذرنا الإسلام من أن نقع فيما وقع فيه العبثيون ، فبين أن الدنيا طريق موصلة إلى الآخرة ، وبقدر ما يحسن الإنسان فيها ينال جزاءه في الآخرة ، ولكن إذا تغيرت هذه النظرة إلى الدنيا ، وأصبحت هي الغاية المنشودة ، تغيرت نظرة الدين لها وحذر الإنسان منها ومن الركون إليها وبدت بغير مضمون وهكذا جاءت آيات القرآن الكريم مؤكدة لهذا المعنى في أماكن متعددة مثل قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[٢٠] ومثل قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء

فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ (٢١) . الآية ويتأكد هذا المعنى : معنى أن أهمية الدنيا مرتبطة بمقدار ما تؤدى إليه في الآخرة من فوز ، وخلوها من هذا المعنى إذا انفصلت عن الآخرة وأصبحت غاية في ذاتها في الآية الكريمة : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً . . . ﴾ (٢٢) الآية .

ولذا فإننا إذا عشنا ( عصر الشك والقلق والنسبية والتغيير فإننا في نفس الوقت نتسلح بثوابت لاتتغير من خلال الدين ) (٢٣) .

هذه النظرة العميقة لأحوال الدنيا ووضعها في حجمها دون زيادة أو نقصان ، هي ركيزة وحصن منيع يمنع الإنسان من الضياع والإحساس بعدم إدراك كنه الحياة إذا رأى حطام الدنيا بعد اخضرارها ، وبهذا حذر الإسلام من الركون إلى الدنيا وجعلها منفصلة عن الآخرة ، بحيث لاتصبح غاية منشودة بمفردها وإلا لاختل الميزان وانقلبت المعايير .

ولمنافاة مفهوم العبث مع الإسلام وجدنا الشرق الإسلامي يقاوم ويناهض العبث وأوردت بعض المؤلفات مثل كتاب ( اللامعقول في الأدب المعاصر) (٢٤) قائمة بمن ناهضوا أدب العبث في بلادنا فإذا بها تحوي رجالاً من مثل العقاد ، الذي قال عندما أهدى له توفيق الحكيم كتابا تحت عنوان ( أدب اللامعقول) قال يكفي لرفض هذا اللون من الأدب اسمه وصرّح في وسائل الاعلام المصرية بقوله : (يكفي أن اسمه : أدب غير معقول ) كان من الرافضين لهذا الأدب غير العقاد ( زكي نجيب محمود وأنور المعداوي وغيرهما ) (٢٥) .

وذلك لأن إنسان الشرق الإسلامي وجد في الإسلام بغيته وإشباع حاجاته المادية والروحية ، ومن هنا وجدنا من كبار الكتاب من ينكرون العبث - وإن عالجوه في قصصهم - ويتبرأون منه إذ يقول ( نجيب محفوظ) عندما يسأل عن العبث : العبث معناه عدم الإيمان بأي شيء ، وأنا لست عبثياً ) (٢٦) وما ذلك إلا لأن المجتمع الإسلامي بظروفه وتكوينه وأعرافه وتقاليده قد تأبى على هذه الظاهرة ، فلم تنبت فيه ، وعلى العكس من ذلك وجدنا في القصص المصري ما يتنكر لظاهرة العبث ويسير في اتجاه مخالف لها ، فمثلاً قضية الموت التي أصابت الإنسان الغربي

بالعبثية، لأن الحياة عنده هي الركيزة الأساسية في اهتمامه - وإن وجدت عندالبعض بسبب التأثر بالغرب - لم تهز الإنسان المسلم بل قابلها بما تستحق واستمر في الحياة معتصما بإيمانه الذي وجد فيه الحمى والملاذ، ويمكن أن نرى ذلك من خلال قصة (قدر) [٢٧]

إذ عندما يختطف الموت ابناً لشيخ مسن كرس حياته لابنه وحرم نفسه متع الدنيا نظير أن يوفر لابنه احتياجاته، وعندما ينتهي الابن من دراسة الحقوق « وبينما كان أبوه يعالج مشكلة العثور على مكان مناسب، ويفرغ من ذلك ليأخذ في تهيئة الأثاث اللازم لمكتب ابنه الحبيب . . بينما كان الوالد يسعى في اهتمام ونشوة ليمهد لولده شق الطريق كان القدر ينسج في أكفان الشاب) [٢٨] . ويحزن الشيخ حزنا شديداً على ابنه وذلك في استحضار صورة الأب من قول الكاتب : ( أعرف ذلك الشيخ المتهدم الذي ما تزال صورة سقوطه مغشياً عليه أثناء سير الجنازة مرتسمة في ذهني) [٢٩] ولكن سرعان ما يتغلب الشيخ على محنته ويقبل على الحياة وتتبدل صورة الحزن والضعف ( أما هذا الرجل الذي أراه الآن يفيض حياة وحركة هذا الرجل الذي يرتدي الثوب القطني الزاهي والرداء اللامع الفاخر، ويبالغ في التأنق ممسكاً بإحدى يديه عصاً، لا ليتوكأ عليها وإنما ليتحدى ويمعن في إبراز رجولته) [٣٠]، ويكون الدافع ( في القصة ) إلى اجتياز المحنة والتعامل مع الحياة بعقل واتزان هو : الإيمان، فعندما نقرأ قول الكاتب : (يا صاحبي إن هناك قدرة إلهية تصوغ مصائرنا تكيفها رغما عن إرادتنا وهذه القدرة العجيبة تمس برحمتها ما يعترض سبيلنا بفنون وأساليب مختلفة . . . وأن ما أذهلك عند رؤيتك لهذا الشيخ الثاكل، هوبعينه الذي زادني إيمانا بالله وعجيب صنعه ) عندما نقرأ قول الكاتب هذا نعرف المعين الذى استقى منه وبالتالي انبثق عنه ذهنه وتفكيره، إنه الإيمان الذي يبصر المرء بأن يضع الحياة في حجمها الحقيقي الذي تستحقه فليست هي الغاية، ويجعله يدرك أن للكون خالقاً مدبراً حكيماً، وفي نفس الوقت ندرك مدى تأبى البيئة الإسلامية على ظاهرة العبث في بعض القصص .

أما إذا تنبه الكاتب عندنا إلى قسوة البشر، فإنه لاينساق - كما فعل بعض كتاب الغرب - إلى العبث ولكن يتجه إلى الدفء الاجتماعي، الذي تميز به المجتمع عندنا والذي يوضح أنه إذا وجدت القسوة فالرحمة تجاورها، فأين قصة ( راكب

الجردل) [٣١] بمفهومها العبثي تجاه قسوة البشر والطبيعة على الإنسان حتى الموت من قصة ( الساعات الطوال) ففي القصة الأولى : الإنسان يلاقي مصيره الموت وسط إحساسه بالقسوة نتيجة عدم حصوله على الفحم ، لأنه ليس معه نقوداً ، وزوج البائع أو همته بأن لا أحد بالباب يطلب شراء الفحم ، والطبيعة ببرودتها القاسية أماتت صاحب الجردل ، وتأتي العبثية من الزاوية التي نظر الكاتب منها إلى هذا الحدث فقد جعل البطل يصعد الى قمة الجبل راكبا الجردل ويلقى مصيره هناك دون رحمة .

أما في قصة ( الساعات الطوال) فإنها وإن حدث فيها الموت لكننا نرى المجتمع يحتضن الفتاة ( عديلة ) التي عانت من العذاب ألوانا بعد زواج أبيها من امرأة غير أمها ، فكانت عديلة تهرب إلى الأحياء الشعبية إلى أن تصاب مرة وهي في الطريق بطعنة خطأ ، وفي لحظة الاحتضار بدلا من ظهور نظرة عبثية لمصير ( عديلة ) ينهض العطف الإنساني الذي تشبع به وجدان الكاتبة . فيبدل الموقف . ويتحلق الناس الطيبون حول عديلة ويشملونها بالرعاية والحنان ، وسيتدعون لها ( الإسعاف) ويحاول كل واحد أن يأخذها عنده لرعايتها ، فيظهر العطف والشفقة دون سابق معرفة أو قرابة ، إنها رحمة الإنسان بأخيه الإنسان ، وشفقته عليه بصورة تتعارض تماماً مع تصرف زوجة بائع الفحم في قصة ( راكب الجردل ) وإن الكاتبة لتمثل في عرض الصورة القصصية وتتبع تفصيلاتها دون ملل ، لتوضح جوانب العطف - من خلال المتحلقين حول ( عديلة ) في البيئة المصرية مع الفاقة والحاجة ، وبهذا تجمع القصة بين ما هو طبيعي فترى الحياة بشقيها : في جانب منها القسوة وفي الجانب الآخر العطف والرحمة فيكون الميزان مستوياً والحياة بجناحيها الخير والشر مما يجعل الإنسان يتقبلها ويقبل عليها .

وما قاد إلى ذلك إلا حسٌ صادق واتزان في الرؤية وتسلح بالإيمان وهذه بدون شك نظرة صائبة يدل على صوابها : أن ما ارتكز عليه العبثيون في بعض جوانب العبث قد تبدلت صورته : ( فالعلم التجريبي بعد تخبطه وإنكار إله لهذا الكون نتيجة اعتقاده أن الكون مادة فقط وبالتالي أنكر الغائية ، تراجع إلى الإيمان عن طريق الوصول إلى وجود مدبر لهذا الكون ، لأن المادة ليست أزلية) [٣٣] .

وبالتالي فإن منظور العلم الجديد ينكر على العبثيين اتجاههم وهذا العبث الذي

ظهر في الشرق لم يتخذ نبذ العقيدة دافعاً لظهوره ولكن كانت له خصائصه الشرقية في الغالب . . وقد نبه البعض [٣٤] على تباين المجتمعين الشرقي والغربي في تناول العبث لأن كل مجتمع له ظروفه التي شكلته وأثرت فيه ، هذا وإن كان التأثر والتأثير موجوداً ( على اعتبار أن العصر الذي يعيشه لا يسمح لأحد بالعزلة ولا إقامة حواجز ضد الأفكار حتى لو رفضناها فلابد من الحوار معها) [٣٥] وإظهار فسادها .

وبعد . . فإنني أردت بهذه العجالة أن أوضح وجهة نظري في العبث وهذا يجعل المنهج النقدي متكاملاً في ( تناول النص من جميع زواياه وعناصره من فكرة وعاطفة وخيال وتعبير ) [٣٦] .

وبهذا يتضح جلياً خطر هذه الأفكار بل وتناقضها وتعارضها مع شريعة الإسلام الغراء وبالتالي عدم الانسياق وراء الأفكار البراقة باسم الحداثة التي ينبهر بها البعض فيتوه في مزالق الشيطان ويبتعد عن حظيرة الإيمان .

# ثبت بالمصادر والمراجع


١ - لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف مادة ( عبث ) .

٢ - المصدر السابق .

٣ - د/ مصطفى ماهر ومحمد السيد عيد في ( أدب القصة القصيرة ) حلقة في التلفاز المصري في ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٥م .

٤ - كاتب من أب فرنسي وأم إسبانية ولد في الجزائر سنة ١٩١٣م ومات في فرنسا في ١٩٦٠م .

٥ - د/ محمد غنيمي هلال ( في النقد المسرحي ) ط دار النهضة د. ت ص ٣٤ .

٦ - من حلقة ( أدب القصة القصيرة ) السابقة .

٧ - د / محمد غنيمي هلال المرجع السابق ص ٣٢

٨ - كاتب ألماني ولد في مدينة براغ سنة ١٨٨٣م ومات ١٩٢٤م

٩ - د / عبدالحميد إبراهيم محمد ( الأدب وتجربة العبث ) ط دار الفكر الحديث ١٩٧٣ ص ١٤ .

١٠ - أحمد عصام الدين ( من حديث الأدب الوجودي ) ط الدار القومية في ١٨/ ٨ سنة ١٩٦٦ ص ٩ .

١١ - المرجع السابق ص ٤١ .

١٢ - عثمان نويه ( خيرة الأدب في عصر العلم ) ط دار الكاتب العربي سنة ١٩٦٤م ص ١٣٣ .

١٣ - المرجع السابق ص ١٣٩ .

١٤ - راجع جان بول سارتر في مسرحية ( الذباب ) تعريب محمد القصاص إذا يقول ما يعني ( أنا أسعى لتحقيق مطامحي لا أعبأ بشيء من عرف أو تقاليد أو دين ) .

١٥ - البخاري كتاب النكاح ط الشعب جـ ٧ ص ٣ .

١٦ - رواه الطبراني وفي نفس المعنى أخرجه ابن عساكر وصححه السيوطي في الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٦٧ مطبعة الحلبي .

١٧ - رواه الطبراني .

١٨ - سورة الجمعة آية ١٠

١٩ - سورة القصص آية ٧٧ .

٢٠ - سورة آل عمران آية ١٨٥ .

٢١ - سورة الكهف آية ٤٥ .

٢٢ - سورة الحديد آية ٢٠ .

٢٣ - عبدالمالك عودة ، أستاذ العلوم السياسية من خلال حلقة ( شاهد على العصر ) في الإذاعة المصرية في ٨/ ١/ ١٩٨٩م

٢٤ - ماهر شفيق ( تجربة العبث ) بحث منشور في مجلة فصول المجلد الثاني العدد الرابع سنة ١٩٨١ ص٢٣٧ .

٢٥ - المصدر السابق ص ٢٣٧ .

٢٦ - نجيب محفوظ من خلال حوار أجراه معه جمال الغيطاني تحت عنوان : ( نجيب محفوظ يتذكر ) مجلة آخر ساعة المصرية في ٢٣/ ١١/ ١٩٨٨م .

٢٧ - عبدالمعطي المسيري مجلة القصة بتاريخ يونيو سنة ١٩٦٤ ص ٩١ .

٢٨ - المصدر السابق .

٢٩ - المصدر السابق .

٣٠ - المصدر السابق .

٣١ - قصة للكاتب ( فرانزكافكا - راجع أحمد عصام الدين في ( من حديث الأدب الوجودي ) مرجع سابق ص ١٣٤ .

٣٢ - جاذبية صدقي مجلة ( الإذاعة ) المصرية في ١٨/ ٣/ ١٩٦٧ ص ٣١ .

٣٣ - روبرت أغروس ، وجورج ن . ستانسيو في ( العلم في منظوره الجديد ) تعريب كمال الخلايلي سلسلة : ( عالم المعرفة ) عدد ١٣٤ سنة ١٩٨٩ ص ٥٧ وما بعدها .

٣٤ - ماهر شفيق ( تجربة العبث ) بحث سابق ص ٢٢٣ .

٣٥ - د/ صلاح فضل ( النقد المنهجي غائب وهذه هي الأسباب ) مقال منشور في صحيفة الأهرام المصرية في ٢٤/ ٨/ ١٩٨٦ ص ١١ .

٣٦ - د/ كامل السوافيري ( دراسات في النقد الأدبي ) ط مكتبة الوعي العربي ط أولى سنة ١٩٧٩ ص١١٢ .

# صفحات من تاريخ الجهاد الإسلامي
# في شرقي إيطاليا
# ( في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)

د/ وديع فتحي عبد الله

حقيقة أن الدولة الإسلامية في أقصى اتساعها لم تضم سوى أجزاء محدودة من أوروبا مثل أسبانيا وصقلية ، فضلاً عن بعض جزر البحر المتوسط ، إلا أنها ضمت جميع البلاد المطلة على الشواطئ الجنوبية والشرقية للبحر المتوسط ، ومن ثم تمكنت من نقل التراث الحضاري الإسلامي إلى أوروبا .

فقد كانت أعظم الحملات البحرية الإسلامية تأثيراً ، في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، في مصير سيادة العالم المسيحي ممثلاً في الدولة البيزنطية هي تلك التي هددت المضايق البحرية . فقد تمكن المسلمون من السيطرة على كريت في عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م وبذلك تحكموا في مدخل بحر إيجة (١) . وسيطروا على صقلية ، ما عدا سيراكوز ، وأنشأوا فيها حضارة إسلامية رائعة لاتزال بقاياها حتى اليوم في هيئة قصور وحصون ومساجد ، وأصبحت بلرم وغيرها من مدن هذه الجزيرة مراكز هامة للحضارة الإسلامية ومعبراً لهذه الحضارة إلى أوروبا (٢) . فتحكموا بذلك في مدخل البحر التيراني ومضيق مسينا وفتحوا أجزاء هامة من إيطاليا ، وأخيراً سيطروا على مالطة في عام ٢٥٢هـ / ٨٦٦م وبالتالي امتد نفوذهم إلى المضايق التي تفصل صقلية عن أفريقيا (٣) .

وكان من أهم نتائج هذه الحملات الإسلامية الدفاع عن شواطئ سوريا ومصر وشمال أفريقيا والأندلس ، وإحكام السيادة الإسلامية على طرق التجارة الدولية في البحر المتوسط (٤) . ولا شك في أنه كان من أهم عوامل هذا النجاح هو تأجج روح الجهاد في سبيل الله ، بعد أن تفقه أهل أفريقيا في الدين الإسلامي على المذهب

المالكي الذي انتشر بين السكان ، حتى ظهر من بينهم العلماء والفقهاء ، ومع مرور الوقت أصبح خروجهم لمواجهة البيزنطيين ( المسيحيين ) في صقلية أقصى ما يتمناه العابدون من هؤلاء السكان . ولعل اختيار زيادة الله ( ٢٠١ - ٢٢٣هـ/ ٨١٦ - ٨٣٧م) للقاضي الفقيه أسد بن الفرات لفتح صقلية يؤكد روح الجهاد التي سيطرت على قلوب المسلمين [٥] .

ونظرا لأن سيطرة المسلمين على صقلية ، قد فتحت الطريق للمد الإسلامي للتقدم شرقاً في اتجاه البحر الأدرياتي مروراً لشرقي إيطاليا ، فقد تزايدت المواجهة الإسلامية المسيحية على هذه الجزيرة ، وكُتب النصر للمسلمين في عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦، ثم في عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م [٦] . ثم بدأ بالفعل الهجوم الإسلامي على منطقة دالماشيا ، على الساحل الأدرياتي شرقي إيطاليا ، في عام ٢٥٤هـ / ٨٦٨م . فيذكر المؤرخون المسيحيون أنفسهم أن الأسطول الإسلامي جاء من أفريقيا في ست وثلاثين سفينة حربية تضم أساطيل من مسلمي شمال أفريقيا وصقلية وجنوب إيطاليا [٧] . ووصلوا إلى مختلف مدن دالماشيا واستولوا على مدن بتوبا وروزا وديكاتير وراجوزه [٨] . والأخيرة يقول عنها ثيوفان ، وهو من أشهر المؤرخين المسيحيين في هذه الفترة الزمنية ، « أنها عاصمة الشعب» نظراً لأهميتها الجغرافية كميناء على ساحل دالماشيا المطل على البحر الأدرياتي ، والاقتصادية نظراً لنشاطها البحري الذي ساعد على زيادة دخلها [٩] . لذلك فقد حاصرها الأسطول العربي خمسة عشر شهرا مستخدما الخطاطيف والحرّاقات ، وكل ما يمكن أن يواجه ما لدى البيزنطيين من النيران الإغريقية . ورغم ما أبداه سكان المدينة من مقاومة فإنهم بدأوا يعانون من جرّاء طول الحصار حتى أنهم أرسلوا إلى الامبراطور المسيحي باسيل الأول المقدوني ( ٨٦٧- ٨٨٦م / ٢٥٣ - ٢٧٣هـ) في القسطنطينية مبعوثين يلتمسون النجدة [١٠] . فقرر الإمبراطور الاستجابة لهم ، وأرسل اليهم أسطولا ضخما مكوناً من مائة سفينة . وأمام ضخامة هذا الأسطول بادر المسلمون بالانسحاب ، وإنهاء الحصار ، وتراجعوا إلى جنوب الساحل الشرقي لإيطاليا ، حيث اختاروا مدينة باري هدفاً جديداً لهم [١١] .

ولكن لماذا كانت باري هدفاً للمسلمين ؟ نجد أنه أثناء الصراع الذي نشب في إمارة بنفنتوم اللمباردية عام ٨٣٩ - ٨٤١م / ٢٢٥ - ٢٢٧هـ استعان المتنافسان على

سلطة هذه الإمارة بالمسلمين . فاتجه أحدهم إلى الاستعانة بمسلمي صقلية ، بينما إتجه الآخر إلى الاستعانة بمسلمي أسبانيا ، ومن ثم تهيأت الفرصة للمسلمين للتدخل في هذا النزاع . ونظراً لمكانة باري كعاصمة عسكرية لإقليم لمبارديا العسكري ، ولأنها ميناء هام على مدخل البحر الأدرياتي ، ويتحكم في المواني الجنوبية لهذا البحر ، فقد استغل المسلمون الفرصة السانحة واستولوا على باري وما حولها في عام ٢٢٧هـ/ ٨٤١ م وتكونت فيها إمارة إسلامية استمرت حوالي ثلاثين عاما « ٢٢٧ - ٢٥٨هـ/ ٨٤١ - ٨٧١م » ضمت مسجدا جامعا . وقد اتخذها المسلمون قاعدة لغزو المناطق المتاخمة في وسط وجنوب إيطاليا . وقد حكمها أمير مستقل طلب الاعتراف به من الخليفة العباسي المتوكل على الله ٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧ - ٨٦١م أميراً على هذه الجهات . وقد اشتهر من قادة المسلمين في باري ، في هذه الأحداث ، المفرج بن سلام ، الذي ضرب أروع أمثلة الجهاد حتى يُقال عنه ، وفقا لما أوردته المصادر المسيحية ذاتها ، أنه فتح أربعة وعشرين حصناً (١٢) .

ثم واصل المسلمون تقدمهم مجتاحين معظم قلاع لمبارديا ، وباقي مدن كالابريا ، بل وتقدموا إلى روما وهددوا العاصمة القديمة ، وأملاك البابوية . وكان مجموع القلاع والمدن التي عصف بها المسلمين حوالي مائة وخمسين وفقاً لما أوردته المصادر المسيحية (١٣) .

ساد الفزع العالم الأوروبي شرقه وغربه ، على المستويين الشعبي والرسمي ، وأيضاً أجهزته السياسية والدينية نتيجة لهذا المد الإسلامي . ففي شرق أوروبا ، وكرد فعل لهذه الأحداث ، تشاور الإمبراطور البيزنطي مع كبار قادته لمناقشة التهديد الإسلامي الذي يهدد الكيان الأوروبي كله ، وأدركوا أنه من الأفضل عدم المجازفة وحدهم في المواجهة ضد المسلمين ، فعلاوة على قوتهم فإنه من الصعب تأمين قواتهم البحرية في البحر المتوسط دون حليف ، خاصة وأن لهم قوات على حدود المسلمين في المشرق الإسلامي لايمكن سحبها والاستعانة بها حتى لا تنهار قوتهم في جبهة الشرق . وفي غرب أوروبا تملكهم الخوف أيضاً بسبب تزايد القوة والنفوذ الإسلامي في البحر المتوسط بشكل يهدد الوجود القوي للدولة الكارولنجية في إيطاليا ، بل ويهدد مصالحها في المنطقة كلها . وغير خاف أن البيت الكارولنجي لم يكن بوسعه التصدي وحده للمسلمين . أما في قلب العالم الأوروبي ، وعلى

مستوى السلطة الدينية للعالم المسيحي ، وبعد أن وصل المسلمون إلى روما ، وهددوا أملاك البابوية نفسها في إيطاليا ، وهي أيضاً لم تكن قادرة على درء هذا الخطر .

ومن هنا اتفقت مصالح العالم المسيحي بقواه السياسية والدينية ومن ثم كانت رغبة هذه القوى ملحة للتعاون ولتبادل المساعدة لمواجهة هذا الخطر . ولكن هل يمكن القول بأن الدافع السياسي وحده كان وراء هذا التحالف بين هذه القوى الأوروبية ؟ صحيح أن هذا التحالف جمع بين شرق العالم المسيحي ممثلاً في الإمبراطورية البيزنطية بقيادة حاكمها الإمبراطور باسيل الأول المقدوني . وبين غربه ممثلاً في الدولة الكارولنجية بقيادة الملك لويس الثاني ٨٥٥ - ٨٧٥م / ٢٤١ - ٢٦٢هـ . وبين السلطة الروحية ممثلة في البابوية في روما بزعامة البابا هادريان الثاني ٨٦٧ - ٨٧٢م / ٢٥٣ - ٢٥٩هـ من أجل مواجهة تهديد مصالحهم جميعاً . إلا أننا يجب ألا نغفل دافعاً آخر وهو الدافع الديني ، إذ أن هذه القوى كانت تدرك أنها لا تواجه خطر المسلمين من الناحية السياسية فقط ، وإنما أيضاً من الناحية الدينية والناحية الحضارية أيضاً . ومن ثم فقد كانت هذه القوى ترى أنه من الضروري إقامة هذا التحالف لمواجهة هذا الخطر الذي سبق أن ثبت أقدامه في المشرق ، ويريد أن يتقدم بقوة جنوب أوروبا (١٤) .

وسرعان ما تبودلت الاتصالات ، والسفارات بين كافة القوى المسيحية في العالم الأوروبي ، وبدأت الاستعدادات ، كما بدأ التنسيق . ووصلت امدادات الفرنجة من الدولة الكارولنجية في غرب أوروبا ، ومن البابوية في روما إلى باسيل الثاني في القسطنطينية الذي سيقود المواجهة ضد المسلمين . وهي عبارة عن امدادات برية وأخرى بحرية ، تضم قوات من الكروات والصرب وأهالي راجوزه ، ومدن دالماشيا المسيحية . كما تم الاتفاق على أن تسمح هذه المدن للسفن البيزنطية بعبور البحر الادرياتي لكي يسهل لها مواجهة المسلمين . هذا علاوة على الجيش البيزنطي نفسه الذي شارك في هذه الحملة ، وكان أهم عناصره مجموعة ضخمة من الفرسان، وأسطول مكون من مائة سفينة (١٥) .

أحكمت قوى التحالف المسيحي حصارها على مدينة باري ، حتى سقطت ، وعمت الفرحة أرجاء العالم الأوروبي . ولكن رغم هذا النجاح في رد الخطر

الإسلامي على باري عسكرياً ، إلا أن التواجد الإسلامي استمر في هذه المناطق دينيا وحضارياً ، بدليل أن النشاط الإسلامي انتقل إلى مناطق أخرى ، بل إزدادت حدّته على امتداد الساحل الإيطالي ، ومرة أخرى تعرضت أملاك البابوية في روما للتهديد من قبل المسلمين ، ثم شهد عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م انهيار سيطرة أقوى القوى المسيحية وهي الإمبراطورية البيزنطية على البحر المتوسط في البحر الأدرياتي حين أبحر الأسطول الإسلامي من طارنت الواقعة على مدخل البحر الأدرياتي إلى البندقية وهاجم ميناء كوماشيو عند مصب نهر البو ، وأحرقه . وهكذا أصبح للمسلمين الغلبة، التي تأكدت عندما شرعوا في السيطرة على المراكز الاستراتيجية في صقلية وكان أبرزها سيراكوز التي دخلها المسلمون في عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م لتكون صورة أخرى من صور الجهاد الإسلامي (١٦) .



خريطة توضح مواقع المدن التي ورد ذكرها في هذه الدراسة

# الهوامش

1 - Gregoire , H. , Etudes sur Le Neverieme Siecle , in "B" , Tome vlll , Bruxelles , 1933 , PP. 515 - 520.

٢ - حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٢ .

٣ - قام الأغالبة بغزو صقلية بايعاز من الخليفة العباسي المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م. للمزيد من التفاصيل . انظر : السيد عبدالعزيز سالم : العصر العباسي الأول - دراسات في تاريخ العرب - جـ٣ ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٩٤ - ١٩٥

4 - Constontine VIII Porphyirogenitus , Historia De Vita Rebus Gestis Bosilu , in P. G. M., Tome CIX, Paris 1863, Cols 302 - 304.

راجع أيضاً : أرشبالدلويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ٥٠٠-١١٠٠م ، ترجمة أحمد طه عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ؛ السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، جـ٢ مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٩٥ . راجع أيضاً الخريطة التي في آخر الدراسة .

٥ - عن أسد بن الفرات انظر : محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، نقله إلى العربية المنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٤٥٠ وما بعدها ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، جـ٢ ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ٦٩ . وللمزيد من التفاصيل عن هذه الرواية راجع أيضاً : حسنين ربيع : دراسات ، ص ١٥١ ؛ السيد عبدالعزيز سالم : البحرية ، جـ٢ ، ص ١٠٠-١٠١ ؛ أحمد توفيق المدني : المسلمون في صقلية وجنوب ايطاليا ، مكتبة الاستقامة بتونس ، المطبعة العربية ، الجزائر ، ١٣٦٥هـ ، ص ٥٦ ؛ محمود اسماعيل عبدالرازق : الأغالبة (١٨٤ -٢٩٦هـ) سياستهم الخارجية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ١٨٧ .

٦ - ابن الأثير ( ت ٦٣٠ ه / ١٢٣٢م)- : المعروف بابن الأثير الجزري : الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٧م ، جـ٦ ، ص١٤٤ .

7- Constantine Porphyrogenitus , Vita, cols, 305 - 306.

8 - Constantine Porphyrogenitus , De Administrando , Ed , Bekker , C.S.H B ., Bonn , 1840 , P. 130, Constontine Porphyrogenitus , De Administrondo Jmperio , Vol II , Commentory , Ed Romilly Jenkins , London, 1962, PP. 104 - 110 , Cf . Also : Paul Alexander , Les Débritus Des Conquetes Arabes En Sicile et la Tradition Apocolyptique Byzantion - Slave , in Variorum , London, 1978, P. 26; Ostrogorsky , G., History of Byzantine State , Trans By J .Hussy , Oxford, 1956, P 209.

9 - Constantine Porphyrogenitus, Vita , Cols 305 , also : Gay , J., L'jtalie Meridionale , Paris , 1904, P.91.

١٠ - عن الأضرار التي لحقت بمدينة راجوزة انظر :
Constantine Porphyrogenitus , De Administrando , P. 92 . وعن الخطاطيف والحراقات . النظر : درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط ٢ ، الأسكندرية ، ١٩٧٩م ، ص ٣ - ١٣ .

١١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ١٤٤ .

١٢ - Constantine Porphyrogenitus , De Administrando , P, 130, Cf. also : Gay , L'jtalie , PP . 101- 102,
راجع أيضاً : ابراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ ؛ ص ١٦٣ ، السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ ؛ أرشبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢١٤ .

١٣ - مما يجدر ذكره في هذا المجال أن هناك محاولات إسلامية سابقة لتهديد روما نفسها مثلما حدث في عامي ١٩٤ هـ/ ٨٠٩م و ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م . مما اضطر بابا روما وقتها إلى الاستعانة بالملك لويس الثاني وبغيره . وللمزيد من التفاصيل انظر Constantine Porphyrogenitus , Vita , Cols 302 - 305 ; Cf . Also : Deanesly , M., A History of Europr , London , 1958 , P. 375.
راجع أيضاً : سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا في العصور الوسطى ، التاريخ السياسي ، جـ١ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٦١ .

١٤ - Constantine Porphyrogenitus , Vita , Col 310 , راجع أيضاً : شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، القاهرة ١٣٥٢ ، ص١٥٢ .

15 - Constantine Porphyrogenitus , Vita , col 310 , Conmentory , P.104.

١٦ - ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ عبد الرحمن بن محمد : كتاب العبر ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، جـ٢ ، ص ٦٣ .

# الجديد حول ابتكارات المسلمين الأوائل (*)

م / لطف الله قاري

## القسم الأول : أهمية تاريخ العلوم الطبيعية والتقانة (التكنولوجيا) عند العرب والمسلمين

نبدأ محاضرتنا بسؤال : لماذا نهتم بتاريخ العلوم والتقانة ( التكنولوجيا) في الحضارة الإسلامية ؟ وقبل الدخول في الإجابة يجدر بنا أن نذكر أن موضوع الاهتمام بالتراث عموما يحتاج إلى محاضرة مستقلة ، بل ندوات علمية كبيرة . وموضوع أهمية علم التاريخ كذلك موضوع آخر ذو صلة ، ولكنه يحتاج أيضاً إلى ندوات . ولكننا نركز هنا على أهمية تاريخ العلوم والتقانة في الحضارة العربية الإسلامية ، فنحاول الإجابة على السؤال السابق بالأسباب التالية :

### أولاً : تحفيز الهمم :

واقتبس هنا كلمات للدكتور المهندس أحمد يوسف الحسن ، الرئيس السابق لجامعة حلب ومؤسس معهد التراث العلمي العربي بها وهو الذي تولى عمادة ذلك المعهد كأول عميد بالإضافة لرئاسته الجامعة : " في السنين العشر الأخيرة ( أي سنوات ١٩٦٦ - ١٩٧٦م) وأثناء دراسة خطط التنمية الاقتصادية كان النقاش يحتد ويدور بين فريقين من المثقفين العرب ، حول قضايا التصنيع . ومن خلال المؤتمرات التي كانت تعقد لهذه الغاية ، ومن دراسة المواقف المتحفظة وغير الحاسمة التي كان يتخذها فريق كبير من هؤلاء المثقفين من المشاريع الصناعية ذات الأهمية الاستراتيجية مثل مشاريع مصانع الجرارات والآلات ، وإقامة مصانع الحديد والفولاذ ، كان من الواضح أن من أهم العوائق التي تعترض طريق الثورة الصناعية العربية هو الشعور بعدم الثقة الذي يشل تفكير المثقفين العرب " .

" وبدا جليا أن الجامعات العربية مسؤولة بالدرجة الأولى عن معالجة هذا الموقف . وأنه لا بد لها في هذه المرحلة التاريخية الهامة من مراحل التطور الاقتصادي

* ألقيت في نادي أبها الأدبي

العربي أن تهتم كل الاهتمام بدراسة تاريخ العلم والتكنولوجيا في الحضارة العربية .
ومن هذه الزاوية بالذات فإن دراسة التراث العلمي العربي ليست عودة إلى الماضي أو رغبة في العيش على أمجاد غابرة ، وإنما هي تعريف بالمنجزات العربية الرائعة ، وبالعبقرية العربية وإمكانياتها الخلاقة المبدعة من أجل بعث الثقة بالنفوس وحفزها على مزيد من الإرادة والتصميم نحو بناء المجتمع العربي المتقدم علمياً وتكنولوجيا " أهـ .

فإذا أردنا من الطالب أن يبدع فعلينا أن نشجعه ونحفزه على ذلك . وفرق بين أن يقال للطالب أن الغرب له الفضل في كل شيء وأن الإبداع مركز عندهم وبين أن يقال له بأن الغرب ما كان سينهض لولا أنه أخذ من أجدادك المبدعين .

## ثانيا : ازدياد حصيلتنا من المصطلحات العلمية :

فكثير مما يجري على السنتنا اليوم من كلمات حديثة مثل سيارة وباخرة ومكيف الخ هي نتيجة لاستنباط مفردات عربية لأشياء حديثة . ولكن يبقى علينا استنباط المزيد من المسميات للمخترعات التي تخرج علينا كل يوم . وتراثنا العلمي واللغوي ثريان بهذه الكلمات . ولذلك فإن دراستهما من الواجبات علينا .

وقد ترجم المختصون في سورية ( التي تدرّس كل العلوم بالعربية منذ نشأة الجامعات بها ) كتب الهندسة من اللغات الأجنبية ، ولكنهم استخدموا مصطلحات بعيدة عما ورد في كتب التراث الهندسية . ولكن بعد تحقيق عدد من الكتب التراثية المذكورة وجد أن المصطلحات فيها تطابق ما يستعمله الصناع والحرفيون من عامة الشعب . فوجب علينا استخلاص المصطلحات من التراث العلمي وتوحيدها على المستويين الأفقي والعمودي ، أي بشمول كل الطبقات المهنية وكل الأقطار العربية .

## ثالثاً : تبسيط العلوم :

حيث نعلم جميعاً أن المقررات المدرسية للعلوم تبدأ بتطور العلم من أجل تبسيطه للطالب . والأجدر عند ذكر تطور العلم أن توضع كل مساهمة علمية في مكانها ، فيذكر أسماء علماء الحضارة الإسلامية ممن ساهموا في هذا التطور . وهنا يأتي دور الباحثين في تاريخ التراث العلمي والتقني لإبراز دور العرب والمسلمين والكشف عن مزيد من إنجازاتهم .

## رابعاً : اللحاق بركب الباحثين الغربيين في هذا المضمار:

فالغرب لايزال متقدما في مجال البحث في التراث العلمي عند العرب والمسلمين !! وعدد المعاهد المتخصصة عندهم في هذا المجال أو تلك التي لها أقسام مخصصة لهذا الميدان هو عدد كبير مقارنة بما عندنا . وكذلك عدد الدوريات المتخصصة في هذا الموضوع .

## خامساً : تواصل البحوث التطبيقية في العلوم الحديثة مع التراث:

أي أن كتب التراث العلمي لا تزال تمدنا بالمفيد والجديد في العلوم الطبيعية والتقانة ، وأضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - عندما بدأت بعثة جيوفيزيائية بالمسح الميداني في اليمن لمعرفة المناجم بها استعانت بما ورد في كتب التراث مثل كتاب " الجوهرتين " للهيداني . فاستفادت من سرده لمناجم الفضة والذهب إلى اكتشاف العديد من المناجم الهامة التي تحتوي على خامات الزنك والحديد والرصاص بالإضافة إلى الفضة بكميات تجارية .

٢ - اقتبس الألمان قبيل الحرب العالمية الثانية أساليب استعملها الأندلسيون في مدينة " المعدن " Almaden لتخليص معدن خالص نقدي استخدموه في صنع الطائرات .

٣ - اعتمد المهندسون المعماريون المهتمون بالعمارة الإسلامية على كتب التراث للخروج بتصاميم من وحي البيئة العربية الإسلامية ، تسر الذوق الجمالي لمتذوقي هذا النوع من العمارة ، وتتوافق مع القيم الشرعية والاجتماعية عند المسلمين . والكتب المؤلفة في هذا المجال عديدة ، وكذلك المؤتمرات والندوات التي عقدت حوله ، والكليات والمعاهد التي تدرسه ، والدوريات التي تتخصص فيه .

٤ - طب الأعشاب الذي برع فيه علماء السلف وألفوا فيه العديد من الكتب المتعمقة لا يزال معتمداً في أكثر الدول . بل وله معاهد وكليات تدرسه في كثير من الدول مثل الهند والصين . وهنا في المملكة تجري فيه البحوث التطبيقية في أكثر من مؤسسة علمية . ويدعو بعض الباحثين الغربيين إلى إحياء تدريس الطب العربي وإنشاء اللوائح والأنظمة الضابطة للأطباء والصيادلة الممارسين له ، وذلك لأن في الغرب أصلا عودة إلى أنواع من الطب المعتمد على المواد الطبيعية . والمعلوم لدى الباحثين بتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين أن الطب والصيدلة كانا

خاضعين لرقابة نقباء الأطباء والصيادلة وتفتيش ديوان الحسبة . حيث نجد في كتب الحسبة إرشادات مفصلة حول كيفية الرقابة على هاتين المهنتين ضمن المهن الأخرى العديدة .

٥ - توقع الزلازل ودراسة منطقة ما من حيث قابليتها للزلازل وكثرة الهزات بها يعتمدان على سجل إحصائي للزلازل في المنطقة . وهذا السجل نأخذه من كتب التراث العلمية والتاريخية ، وقد وصلتنا بعض الكتب التراثية المخصصة للزلازل .

٦ - الكتب التراثية المؤلفة في الزراعة والنبات ما تزال تمدنا بالكثير مما نستفيده حول البيئة الصحراوية بمنطقتنا وكيفية العناية بالنباتات بها . فكما هو معلوم أن علوم الزراعة في الغرب تطبق غالباً على بيئة مختلفة عن بيئتنا . ويبقى على المختصين في علوم الزراعة والنباتات أن يدرسوا أنواع النبات بمناطقها وكيفية نموها والعناية بها وبيئتها . وقد استفادت البحوث التطبيقية في الزراعة والبيئة كثيراً من دراسة كتب التراث وما يتصل بها . وقد ألفت البحوث والكتب العديدة في هذا المجال .

٧ - يقوم العديد من الباحثين بتطبيق ما ورد في كتب التراث العلمي على ما تعلمه من علوم الحاسب الآلي ، فيخرج بأبحاث في غاية الطرافة والدقة والنفاسة . ومن ذلك أن أكثر من باحث استعمل الصيغ الرياضية التي وردت في كتاب "مفتاح الحساب " لجمشيد الكاشي حول تصميم القبة والمقرنس والأزج أو الطاق، وأدخل تلك الصيغ في الحاسب الآلي لاستخراج تصاميم حديثة في العمارة الإسلامية . ومن ذلك أيضاً قيام أكثر من باحث باستخراج أوقات الصلوات والمناسبات الإسلامية الهامة من الصيغ الرياضية التي اقتبسها من كتب التراث ، ثم استعمل معها بعض المعلومات الحديثة وأدخل كل ذلك في الحاسب الآلي ليخرج بجداول حديثة لكل المدن في العالم في كل أيام السنة الشمسية .

## سادساً : الاستفادة من مناهج البحث العلمي عند السلف :

فكما يعلم القاريء فإن تدريس العلوم عندنا له طرق ومناهج يجب أن تكون متميزة عن تلك السائدة في الغرب . فهناك دعوة لما يسمى بـ " أسلمة " العلوم، أي جعلها متماشية مع تعاليم الشريعة المطهرة . وهناك بحوث تطبيقية في مجال العلوم والتقانة تتطلبها بعض قوانين الشريعة والمجتمعات الإسلامية ، كالبحث في محرمات الأطعمة والأشربة . وكتب التراث العلمية تدلنا على بعض المناهج

والمسالك التي نهجها علماء السلف . ومنها مناهج صالحة للتحسين والتطوير ثم الاستفادة منها والاستثمار . فتستحق كل الاستحقاق أن نرجع إليها وندرسها . فنأخذ منها ما يستأهل إحياءه من مناهج الأقدمين ، ونترك ما لا يصلح .

**سابعاً : تدريب النشء على الرياضة الذهنية :**

فمثلاً نستطيع تكليف الطالب بناء جهاز ورد وصفه في كتاب تراثي . فيكون في ذلك فائدة له وإحياء للتراث وإضافة قيمة للمتاحف العلمية .

## القسم الثاني : ابتكارات إسلامية عرفت حديثا

انطلاقاً من أهمية البحث في التراث العلمي كما رأينا فإن الباحثين المعاصرين من العرب والمسلمين والأجانب من المشرق والمغرب يخرجون علينا بين الحين والآخر باكتشاف سبق جديد للحضارة الإسلامية . ونستعرض هنا بعضا مما اكتشف حديثا في السنوات الأخيرة من ابتكارات إسلامية نسبت إلى غربيين ، وكان لها أكبر الفضل في قيام النهضة العلمية الحديثة في الغرب .

**١ -استعمال البخار لتوليد الطاقة الميكانيكية** : ورد في كتاب " الطرق السنية في الآلات الروحانية " لتقي الدين محمد بن معروف الراصد الدمشقي ( الذي ألّفه سنة ٩٥٩هـ - ١٥٥٢م ) وصف آلة تعتمد على تدوير سيخ لشي اللحم بقوة البخار . وذلك بأن يوضع ماء في إبريق ويسخن بالجمر المستعمل للشواء . فينطلق بخار الماء من فوهة الإبريق بقوة ، ويقابل هذا البخار فراشات دولاب مثبت على السيخ ، فيحرك البخار فراشات الدولاب ، وهذا يؤدي إلى تدوير السيخ . وقد بين الباحثون أن استعمال البخار لتوليد الطاقة الميكانيكية بالطريقة نفسها لم يرد عند الأوروبيين إلا بعد مائة عام من ذكره لدى ابن معروف . وكنت ألاحظ أن هذا الموضوع غير مطروق لدى الباحثين الأوروبيين المعاصرين . فراسلت في ذلك عمدة مؤرخي الهندسة الميكانيكية الإسلامية - وهو الراحل دنلدهلDonald Hill - لأعرف رأيه في هذه المسألة فأخبرني في رسالة مؤرخة في ٢٥ / ٥/ ١٩٩٤ ( قبل وفاته بأربعة أيام ) بأن هذا سبق للمسلمين جدير بأن يذكر في المؤلفات القادمة في هذا المجال .

٢ - **التنظيف بالبخار** : وردت وسائل إزالة البقع من الملابس في بعض كتب التراث . ومن ذلك استعمال التبخير بالكبريت والتبخير ببخار الماء . وإحدى هاتين الوسيلتين - أي استعمال بخار الماء - من الوسائل التي تعد حديثة اليوم . وهذا الابداع للحضارة الإسلامية جدير بأن يذكر منسوبا لأهله عند كتابة تاريخ العلوم الطبيعية والتقانة .

٣ - **الرسم الهندسي والخرائط المعمارية** : بعض الباحثين من لم يطلعوا على الكتب المعمارية التراثية والوثائق التي تمت دراستها في مختلف بقاع العالم أنكر وجود الخرائط المعمارية عند المسلمين . وبعضهم قال بأن تلك الخرائط ذكرت في كتب التراث ولكن لم يصلنا منها شيء . وكلا القولين خاطئ. فقد وصلتنا نصوص عديدة وبعض لوحات في الكتب نرى فيها اعتماد المهندسين المعماريين المسلمين على الخرائط المعمارية . ووجدت بعض الخرائط المعمارية في بلاد بخارى وفي إستنبول . وكل هذه الخرائط مما أبدعه المسلمون دون أي تأثير من الغرب عليهم . وهذه الخرائط على نوعين : نوع يشبه الخرائط الحديثة ، نجد فيها المسقط العلوي رسم على ورق مربعات ، ونوع فيه دمج لمسقطين أو أكثر ، ترسم الجدران بالمسقط العلوي والأبواب بالمسقط الأمامي .

٤ - **تطوير النظريات الفلكية** : أخذ العرب معارفهم الفلكية من عدة مصادر ، منها ما كانوا يعرفونه منذ عهد الجاهلية ، ومنها ما أخذوه عن شعوب بلاد النهرين ، ومنها ما أخذوه من الحضارة الهلينية ( الحضارة التي كانت سائدة بمصر والشام قبل الإسلام) وبالأخص من كتب بطليموس . وقد اشتهرت نظريات بطليموس بين المشتغلين بالفلك أكثر من غيرها لغزارة مادتها . ولكن علماء العرب انتقدوا وصححوا تلك النظريات وناقشوها ، فممن عرفوا بالرد على بطليموس ابن الهيثم وابن رشد والبطروجي ونصير الدين الطوسي ومؤيد الدين العرضي وقطب الدين الشيرازي وعلى القوشجي .

ولكن آراء العالم الدمشقي ابن الشاطر ( ٧٠٥ -٧٧٧هـ/ ١٣٠٥ - ١٣٧٥م) حول نظرية بطليموس في مسارات الكواكب هي التي كان لها أكبر الأثر في تاريخ هذا العلم . فقد كان بطليموس يعتقد بأن حركة الكواكب حول الأرض (التي كانت تعتبر مركز الكون ) عبارة عن ثلاثة مسارات :

(١) الدوائر التي مركزها الأرض(deferents) .

(٢) الفلك المعدل للمسير equant ، وهو دائرة افترضها بطليموس لتصحيح حركة الكواكب ومطابقة القياسات والأرصاد الفلكية بالحسابات الرياضية .

(٣) الفلك الدائر أو فلك التدوير epicycle ، وهو دائرة صغيرة يدور مركزها على محيط دائرة أكبر منها .

وقد ألغى ابن الشاطر فكرة الفلك المعدل للمسير ، كما ألغى عدة دوائر من نظرية بطليموس . وهذا فتح المجال لنظرية جديدة حول كرات فلكية هي الكواكب، تدور في مدارات غير مختلطة . وقد تكررت آراء ابن الشاطر في النظرية الفلكية التي جاء بها كوبرنيكس (١٤٧٣ - ١٥٤٣م) ، مع إضافة جوهرية هي أن الشمس هي المركز وليست الأرض . فهل أخذ كوبرنيكس من ابن الشاطر مباشرة أم بطريق غير مباشر ؟ اختلف الباحثون الغربيون حول هذه المسألة . فمنهم من قال بأنه يرى شخصيا أن كوبرنيكس لم يأخذ من ابن الشاطر شيئا، وأنه كان بمقدوره أن يأتي بآراء ابن الشاطر من ذات نفسه ! ومنهم من كتب في آخر بحثه هذه العبارة Allahu a'lim ( يقصد : الله أعلم ) وفسر معناها بالانجليزية بين قوسين .

٥ - **الآلات الفلكية المبتكرة** : أخذ العرب والمسلمون آلة الاسطرلاب وبعض الآلات الفلكية الأخرى من الحضارة الهيلينية التي سبقتهم . ولكنهم قاموا بعد ذلك بابتكار آلات فلكية أخرى . والآلات الفلكية التي ابتكروها تدل على إبداع وفكر عميق سبقا عصرهما . ومن هذه الآلات :

**الإسطرلاب الشامل** : يتكون الاسطرادب المسطح ( الذي أخذه العرب ممن سبقوهم) من أجزاء ، منها صفائح الأقاليم التي هي عبارة عن دوائر عليها خطوط مرسومة نتيجة اسقاط دوائر فلكية من مجسم الكون على مستوى سطح خط الاستواء للكون . وقد تطلب تصميمه الأصلي أن تستعمل صفيحة إقليم مختلفة لكل خط عرض جغرافي . وهذا ما جعل استعماله محدودا بالمكان الذي صنع فيه . ولكن في القرن الخامس الهجري (١١م) في طليطلة حدث تطور مهم لهذه الآلة بفضل عالمين أندلسيين هما علي بن خلف الشكاز وابن الزرقالة . وكانت المحصلة صنع اسطرلاب شامل يستعمل لكل مواقع الأرض دون الحاجة إلى تغيير الصفائح . وتشتمل الفكرة الأساسية أن يحل مستوى سطح دائرة

السمت الإنقلابية Solistical colure بدلا من مستوى سطح خط الاستواء الكوني المستعمل في الاسطرلاب العادي كما أسلفنا .

**الاسطرلاب الخطي :** قلنا بأن صفائح الأسطرلاب العادي تتكون بعمل مساقط لدوائر مجسم الكون على سطح دائري ( أي إسقاط مجسم ثلاثي الأبعاد على سطح ثنائي الأبعاد) . ولكن العالم الفلكي المظفر بن محمد الطوسي ( عاش بين القرنين ٦ -٧ هـ/ ١٢-١٣م) أسقط خطوط صفائح الاسطرلاب على خط مستقيم ، فتكون من ذلك الاسطرلاب الخطي أو عصا الطوسي . أي أنه أسقط سطحاً ثنائي الأبعاد على خط له بعد واحد. وهذه فكرة عبقرية أخرى سبقت عصرها ، لأن علم الهندسة الوصفية الذي تعمد عليه فكرة الطوسي علم حديث لم يبرز إلا في القرن التاسع عشر الماضي .

**الصفيحة الزيجية :** وهي آلة تستعمل لتحديد الآتي باستعمال مجسم هندسي بدلا من الحسابات والجداول : (١) تحديد مواقع الشمس والقمر والكواكب وارتداداتها وتراجعها . (٢) خطوط الطول والعرض بالنسبة لدائرة البروج لكل كوكب و (٣) تحديد مسافاتها عن الأرض . وقد بدأ التأليف في كيفية صنع الصفائح الزيجية في الأندلس في القرن الخامس الهجري (١١م) . أما في المشرق الإسلامي فنجد آلة مشابهة ابتكرها غياث الدين جمشيد الكاشيء وألف كتابا في وصفها سنة ٨١٨هـ ١٤١٦هم . وسمّاها " طبق المناطق " .

**صندوق اليواقيت :** آلة فلكية متعددة الوظائف ، من خدماتها معرفة الوقت ومعرفة القبلة ، ولا مثيل لها في العالم الإسلامي . وهي من ابتكار الفلكي ابن الشاطر صاحب النظرية الفلكية التي سبق بها الفلك الحديث كما رأينا . من أهم أجزائها : (١) ابرة مغنطيس لإقعادها في الجهات الأربع

(٢) رسوم لمعرفة القبلة في بعض البلدان

(٣) ساعة شمسية كلية تمال إلى الأفق بقدر تمام عرض البلد

(٤) دائرة إستوائية كلية تمال إلى الأفق بقدر تمام عرض البلد ليقاس بها الوقت ليلاً ونهاراً

(٥) أقواس لعروض مختلفة لقياس المطالع الفلكية .

**أسطرلاب النروس :** منذ القرن الخامس الهجري ( ١١م) ألف البيروني كتابه

" استيعاب الوجوه الممكنة لصنعة الأسطرلاب " ، فذكر فيه اسطرلابا يدار بالتروس، فيحدد الوقت والتاريخ القمري . وقد بقي واحد من اسطرلابات التروس، وهو محفوظ الآن في متحف تاريخ العلوم بأكسفورد . وعليه كتابة تفيد بأنه صنع سنة ٦١٨هـ ( ١٢٢٢م) . يبين أوجه القمر وموضع الشمس عن القمر أثناء مرورهما في فلك البروج . وهذا الأسطرلاب واحد من أجهزة ميكانيكية عديدة استعملت فيها التروس . ولكن نظراً لأن الاسطرلابات كانت تستخدم لقياس الوقت فإننا نستطيع اعتبارها مقدمة لصنع الساعات الميكانيكية الحديثة التي ينسبها مؤرخو العلم حاليا إلى الأوروبيين . حيث يقولون بأن العرب عرفوا الساعات الشمسية والساعات المائية . أما ساعات التروس فهي في نظرهم اختراع أوروبي ، ولكننا نجد في اسطرلاب التروس تمهيداً لذلك الاختراع الأوروبي .

٦ - **آلات السلامة الصناعية** : اهتمام الشريعة الإسلامية الغراء بالعمل اليدوي وبسلامة العمال موضوع طويل . ويهمنا في المقام أن نذكر بعض أجهزة السلامة الصناعية التي ورد وصفها في كتب التقانة التراثية . فمنها جهاز ورد وصفه في كتاب " الجماهر في معرفة الجواهر " للبيروني ، وهو عبارة عن جهاز للتنفس الصناعي استعمله الغواصون ببغداد في عهد المؤلف . ومنها جهازان ورد وصفهما عند بني موسى بن شاكر . أحدهما جهاز للتنفس الصناعي يستخدم للمناجم ، والآخر جهاز لالتقاط الأشياء من قاع البحار والانهار دون النزول إليها .

٧ - **تلوث البيئة** : الاهتمام بتلوث البيئة يعتبر موضوعاً حديثاً لم يبدأ إلا في السنوات العشرين الأخيرة ( منذ السبعينيات الميلادية ) . ولكننا نجد سبقا للحضارة الإسلامية في هذا المجال أيضاً . فمن الكتب المؤلفة في هذا المجال :

١ - رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء — للكندي

٢ - رسالة في الأدوية المشفية من الروائع المؤذية — للكندي أيضاً

٣ - رسالة في تحقيق أمر الوباء والأحتراز عنه وإصلاحه إذا وقع — لأبي سهل عيسى بن يحيى المسيحي

٤ - رسالة في إصلاح فساد الهواء — لابن الجزار

٥ - مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء — للتميمي

بعض هذه الكتب فقد ولم يصل إلينا ، وبعضه ما يزال مخطوطاً ينتظر الناشر العربي ليدعم تحقيقه وطبعه .

# وقفة مع ثلاثة من شعراء النماص

**محمد يوسف أيوب**

ثلاثة من الشعراء الشباب يشقون طريقهم في دروب الشعر بثبات وإصرار سلاحهم ثقافة واعية متأنية ، عربية أصيلة المصب والمنبع ، وصبر شديد على المطالعة ، وملاحقة كل جديد في عالم الفكر والتراث والثقافة . جمع بينهم الزمان والمكان ، وأواصر القربى ، فكلهم في سن واحدة ( سن الشباب) ومن مدينة واحدة ( **النماص**) وقبيلة واحدة ( **بني بكر** ) القبيلة العربية الأصيلة الضاربة في جذور التاريخ العربي القديم . وشعراؤنا في هذه الدراسة هم :

**الأول : عبد الله بلقاسم البكري :** من مواليد ١٣٩٠ هـ وهو مدرس للعلوم والأحياء والحاسب الآلي وخطيب جامع بلال بالنماص .

**الثاني : عبد الرحمن معاضة البكري :** من مواليد ١٣٩٢ هـ ويعمل محاضراً في كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

**الثالث : فايز أحمد البكري :** من مواليد ١٣٩٢هـ وهو مدرس لمادة اللغة العربية وحائز على جائزة الأمير خالد الفيصل للشعر .

وتتنوع موضوعات شعرهم بين تصوير لحال أمتنا الإسلامية وما حلّ بها من مآس وذل ودمار ، إلى الحنين إلى الأهل والديرة ، إلى الإخوانيات حيث يمدح أحدهم شيخه ومدرسه ، ويمتدح الآخر أباه ، ويحن إلى أمه ، إلى شعر الحكمة وتصوير الواقع من خلال الحكم .

ونبدأ بالشعر الذي يصور حال هذه الأمة ، حيث تتمثل الأصالة الإيمانية لدى هؤلاء الشعراء ، فهم يعيشون مأساة هذه الأمة بكل أبعادها ؛ فيصورون حالها وقد تكالب عليها أعداء من كل حدب وصوب ، فأصبحت مشاعاً لكل طامع ، وأصبح الجرح الإسلامي ينزف بلا توقف ، كل ذلك لأن المسلمين ضيعوا مجدهم الغابر ، واستغرقوا في النوم متخلفين عن ركب الحضارة والمدنية . فهذا الشاعر فايز

يستنهض همَمَ المسلمين ويتساءل تساؤل العارف المستنكر عن ألف مليون مسلم لم يشعروا بنزف الجرح ، ولم يخرج من بينهم معتصم جديد يرد كيد الأعداء ويعيد لهذه الأمة كرامتها المسلوبة . كما يصور عُبّاد الصليب وقد تمادوا في غيهم وطغيانهم؛ حيث اغتصبوا النساء الطاهرات ، وقتلوا الأطفال الأبرياء ، وهدموا المساجد فوق رؤوس المصلين ، وعندما انطلقت أصوات الاستغاثة ، لم تجد سوى رجع الصدى حيث لا مجيب لأن المسلمين يغطون في نوم عميق :

يا أمّة خَيْرُ خَلْق الله سيدُها ... وفي يَديها كتابُ الحق ينتشرُ
أينَ الجيوشُ التي قد أمها سعدٌ ؟ ... أينَ الجيوشُ التي قد ساسَها عُمَرُ ؟
أألفُ مليون لم يأتوا بمعتصمٍ ؟! ... أكلهم بنزيفِ الجرح ما شعروا ؟!
أهلُ الصليب تمادوا في عدائهم ... لم يرحموا طاعنا قد هده الكبرُ
لم يرحموا طفلة تأسى لمأتمها ... أو قائماً في رحاب الله يفتقرُ
إن الزمانَ سيبقى يشتكي ألماً ... مأساةَ أمة حق حقها هَدَرُ
قد ضيعتْ عزها في كل معتركٍ ... من بعد أن عزَّها الآياتُ والسورُ

ولكن الشاعر على الرغم من هذه المأساة ، والظلمات المتراكم بعضها فوق بعض ، يتفاءل بيوم تنتصر فيه الأمة على ضعفها ومن ثم على الأعداء ، وترد كيدهم في نحورهم ، ولكن لكل أجل كتاب ، ولابد من عودة صادقة للإسلام وأحكامه ، حيث تكفَّل الله لهذا الدين بالاستمرار والدوام إلى يوم النشور ، وحيث لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على الحق لايضرها من خالفها ، وفي ذلك بشرى للدعاة إلى الله ، كي لا يصابوا باليأس والإحباط ، لأن النصر قادم مهما عظمت الكروب والملمات :

فكلُّ بعدٍ عن الإسلامِ منقصةٌ ... وإن أرادوا الهدى من غيرهِ خسروا
لكنَّ للهِ وعداً ليسَ يُخلفُه ... سَيُحْفَظ الدِّينُ مهما عاثَ من فجروا
فأبشروا يا دعاةَ الحقِّ معركةً ... يُرمى الصليبُ ويأتي العزُّ والظفرُ

ويطلب أحدهم من الشاعر **عبد الله بلقاسم** أن يقول شعراً في الغزل ، ولكن أنى لشاعرنا أن يتغزل وهو يرى الأمة كلمى جريحة؟! فهو يبرأ من شعر يتغزل

بالحسان، كما يُبرئ قلمه من كتابة حرف لا يرضي الله، إنه يرى قهر المجرمين الأوغاد للأمة التي طالما غنى بحبها، حيث يُسام المسلمون سوء العذاب في مشارق الأرض ومغاربها، فكيف يتغزل الشاعر بالغيد والغيد في بلاد الإسلام يستجدين نخوة معتصم جديد، ينقذ الشرف المسفوح والعرض المنتهك، لكن المعتصم يغطّ في نومٍ عميق، وعمورية حصَّنت أبوابها:

يـا أمَّتي هـذي وفـودُ قصائـدي ... كلمى لآلامِ الجـريح المسـلمِ

قَلمي تبَـرَّأ من منـادمـةِ الخنـا ... وتـألَّمي لأنيْنِ طفلِك مُلْجمي

كيفَ السَّبيلُ إلى النسيبِ وأهلُنا ... تحت اللظى وبجوفِ قَهْرِ المجرمِ

أيـن التـغـني بالغـواني والـرُّبـا ... تشكو إلى الرَّحمن ليلَ النـوَّمِ

أيسوغُ أن يُهدى القريض لغادةٍ ... والغيدُ يستجدين نخوةَ مُلْهَـمِ

يسعى الـورى كلٌّ إلى غـايـاتـه ... وبقـدر هَـمِّ النْفسِ قـدْرُ المغْنَمِ

ويمثل حب الوطن والحنين إلى الأهل والقبيلة ظاهرة قديمة في شعرنا العربي، وما الوقوف على الأطلال إلا نوع من ذلك الحنين، سافر **عبدالرحمن معاضة** إلى أبها للدراسة وما بين **أبها والنماص** سوى مائة وخمسة وأربعين كيلومتراً وهي مسافة قصيرة يستطيع شاعرنا أن يرى أهله كل يوم إن أراد، ولكن للشاعر رأياً آخر يسوغ له الحنين:

قِفْ يا فؤادي فدمعُ العينِ قد نَزَفا ... واسْألْ حماماً بغصنِ السَّرو قدْ هتَفَا

قل كيـف حـالُ بني بكـرٍ وأرضهم ... فالحظُّ من بعـد أن فارقتهم وقفَـا

لاقيتُ في غربتي من بعدهم نَصَباً ... فـالهم بادٍ بوجـهي ليس فيـه خفا

دارَ الزَّمـانُ على حـالي فَغَيَّرهـا ... فَبُدِّل السَّعدُ حزناً والوصـالُ جَفَـا

ويعقد الشاعر العزم على السفر والرحيل طلباً للعلم والغنى، فقد قرأ أن الدرَّ عندما يترك أصدافه تزداد قيمته، ولكنه بعد أن جرب السفر لم يجد غير الألم والعذاب، ونقف مع الشاعر هنا ونهمس في أذنه: ترى لو بقيت في بلدك ولم تخرج طلباً للعلم هل ستكون محاضراً في الجامعة ؟! ولكن كل ذلك على عادة الشعراء في الشكوى، حيث يجوز لهم مالا يجوز لغيرهم:

قد كنتُ أرجو غنى بالبعدِ عن وطني ... ورحتُ أطلبُ للسقم المُمِضِّ شِفَا
وقــد سمعتُ بــأنَّ الــدُرَّ قيمتُــه ... تزدادُ حين يخلي خلفــه الصَّدَفا
وخلتُ أني بتــركي الأهــل مــرتحلاً ... ألقى بأرضِ اغترابي روضة أنُفَا
فـما لقيــتُ ســوى الآلامِ تصحبُني ... وبـدَّل الــدهرُ لي وجه المنى بقفا

إن حب الديار والأهل قد ملك على الشاعر فؤاده ، فهو مشغول القلب والفكر بحبهم ، لا يصبر على فراقهم ، ويتوق إلى اللقاء القريب بهم، إن المسافة مهما بعدت بين الأحبة فهي في لغة القلب ليست إلا لحظة :

ياديرتي يا بلادي أين منكِ أنـا ؟ ... أم أينَ منا زمـانٌ بالهـوى سلفَـــا
لم يبقَ منه سوى الآهات أبعثهـا ... حزناً على ما حلا من عيشنا وصفـا
أرخى الزمانُ علينا من حلاوتِـه ... حتى إذا ما هنـانا عيشُنـا عصفَـــا
قال الفؤادُ: فما تبغى فقلت لـه : ... بلغْ سلامــي إلى جيراننـــا وكفـى
وقل لهم : إن لي قلباً ينازعــــهُ ... صبٌّ لهم مـا لوى عنهم ولا انصرفـا

ويقرأ فايز بن أحمد قصيدة صاحبه عبدالرحمن ، فتثور في نفسه كوامن الشوق إلى الأهل والأحباب ، فيعارضه بقصيدة جميلة مؤثرة ، يبث فيها كل حبه وشوقه وحنينه إلى الأهل ، لقد أيقظ عبدالرحمن لواعج الشوق النائمة في صدره ، فبدأت تثور من جديد ، يتذكر مرابعاً كانت مهداً لذكرياته وطفولته وشبابه كخريم[١] والغنان[٢] وعتم[٣] . . . إلخ .

يانائحاً لبنــي بكــر ومربعهم ... هلا رحمتَ فؤاداً صار مرتجفـــا
ذكرته من تـربَّى في مكارمـهـم ... فما قضى لهمُ دينـاً ولا سلفـا
أبا معاضة قد ألهبـتَ ذا مُهَـجٍ ... أضحى بغربته بالسعـد معترفا
سائلْ خريماً أما زالَ الضبابُ بــه ... ويرتدي منه خلخـالاً ومعتطفـا
واقرَ السلامَ إلى الغنانِ في لَهَف ... فكم عشقتُ على أطلالهم كنفا
واستنطق الروضة الغناءَ في عتمٍ ... أما كثُ زهرُها الفتّانُ أم قُطِفـا

١ - اسم موضع ببني بكر بمدينة النماص . ٢- اسم موضع . ٣ - اسم موضع .

ولكن الشاعر يعزي رفيق غربته بأن غربتهم في طلب العلم والمعرفة، فهي في سبيل الله ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، حتى إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، كما أن طالب العلم يرقى إلى ذرى العز والشرف :

| | |
|---|---|
| لا تأسَ يا باعث الأشجان إن لكم | في غربة العلم قصداً أيّما هدفا |
| وهذه نعمةُ المولى يجودُ بها | فطالبُ العلم يرقى في الورى شرفا |

وللشاعر **عبد الله بلقاسم** رأي آخر في هذا الموضوع ، إنه يعارض هذا النوع من الشعر ، حيث يعاتب الشاعر **عبد الرحمن معاضة** على وقوفه على الأطلال ويقول له : إن الوقت ليس وقت وقوف على الأطلال لأن شعراءنا القدامى أشبعوا هذا الموضوع بحثاً وتمحيصاً ، فوقفوا واستوقفوا ، وبكوا واستبكوا منذ امرئ القيس وحتى عصرنا الحاضر ، واتسعت بوقوفهم دوائر الوهم عند الناس ، إن الشاعر يرفض كل بيت لا ينطق بلسان الأمة ويشيح بوجهه عن كل قصيدة تتمحور حول الذات الضيقة للشاعر ، فهو يرى أن على الشاعر في زماننا هذا أن ينظر إلى مآسي الأمة الغارقة في أحزانها ، هذه الأمة التي أصبحت تضع الشوك لنفسها تحت أقدامها ، وتحتسي العار من إناء العدو وهي نشوى بذلك ، وتدعي المجد والشرف وهي مكللة بالذل والعار :

| | |
|---|---|
| يا مُنشِدي نَغَمَ الأجْدادِ مَعْذِرَةً | أمَا تَرَى طَلَلَ الأمْجَادِ قدْ نُسِفا |
| أمَا تَرَى الجُرْحَ والأحْداثُ تَنْكَؤهُ | وذُلَّنَا سَوَّدَ الأوْرَاقَ والصُّحُفَا |
| لا لاتقلْ هذه الأطلالُ تُحْزِنُني | وذكرُها ردٌّ ما قَدْ ماتَ أوْ سَلَفَا |
| لالاتقفْ تَعِبَتْ يا صاحِ أمَّتُنَا | من الوقوفِ وكمْ من شاعرٍ وقفا |
| صاغوا معاني الهوى بالوهمِ فاتسعت | دوائرُ الوهم في أجيالنا وكفى |
| وأمة لم تزلْ للشوك تجمعهُ | تعيدُ (تبّتْ ) إلى أبنائِها صلفا |
| وتحتسي العار من ماعون قاتلها | وتدّعي رغم هولِ الذلةِ الشرَفا |
| وانسجْ من الفجر أبياتاً وقافيةً | تزيحُ عنّا سوادَ الليلِ والسُّدَفَا |

ويمتدح **عبد الرحمن معاضة** شيخه الدكتور **محمد الرضا** بقصيدة جميلة ، وهذا النوع من الشعر الذي يمدح فيه التلاميذ شيوخهم كثر في عصر المماليك حيث

كثرت المدارس وكثر طلاب العلم ، وهذا النوع من الشعر يعبر عن حب ووفاء من الطالب تجاه مدرِّسه ، ويجد شاعرنا في شيخه نجماً علا في سماء العلم والمعرفة ، فهو من سادة نجبَ َ، يتصدى لعلوم الشرع يشرحها للطلاب كي يفهموها ، وهو لشدة شغفه بالعلم والمعرفة قد جعل همه الوحيد المطالعة في الكتب ، لذلك فإن وجباته الرئيسة في الغذاء هي الكتب . وهي صورة جميلة ، ولكن الشاعر يبدأ بإظهار الحب لشيخه ولكل طلاب العلم والمعرفة :

يُكِنُّ حُباً ووداً لانظيرَ له لسادةٍ غيرِ خيلِ العلمِ ماركبوا

فيهم معلمُنا ابنُ الرِّضا عَلَماً يقودهم للمعالي سادةٌ نُجبُ

نجمٌ علا في سماء العلمِ ينشرهُ تزداد حسناً به الأشعارُ والخطبُ

في المكتبات له في علمها نهم فطورُه وغداهُ والعَشا كتبُ

إذا تصدَّى لعلمِ الشرع يشرحهُ يزينُه اثنان حسنُ الخلقِ والأدبُ

ونجد في شعر عبدالله بلقاسم للأبوين نصيباً طيباً ، فقد خص أباه وأمه كلاً بقصيدة معبرة جميلة ، فكان بذلك مثالاً طيباً للابن البار بوالديه ، كيف لا وهو المسلم الذي يقرأ قول الله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « الجنة تحت أقدام الأمهات » لذلك فهو يخاطب أمه قائلا :

أمَّاهُ يا فجرَ العطاءِ المبتسمْ أماه يا روحَ السعادة والحلمْ

أمَّاهُ يا نبعَ الحياةِ وصفوَها أمَّاهُ يا بُرءَ المآسي والألمْ

أماهُ بي شوقٌ إليك يهزني في غربتي بين الجوانحِ مزدحمْ

كما يخاطب والده في قصيدة أخرى معترفاً بفضله في تربيته تربية إسلامية حيث علمه أن السعادة لا تكون بحطام الدنيا الزائل ، إنما السعادة في أن يسلك الإنسان درب الإيمان والقرآن :

أبتاهُ يا قلباً رؤوفاً حاني يامن زرعت الخَير في وجداني

لكَ من فؤادي كلُّ نبضٍ دافقٍ ولك الدموعُ تهلُّ من أجفاني

علمتني أن الحيـــاةَ رخيصـــةٌ     فيها الشقاءُ يكـون للإنسان

قد قلتَ لي دوماً بأن سعادتـي     في منهـج الإيمـان والقـرآنِ

وأخيراً نقف عند قصيدة للشاعر فايز بن أحمد وهي قصيدة في شكوى الزمن، فيها تعبير صادق عن بعض الناس في عصرنا الحاضر، حيث اختلت الموازين، وانقلبت القيم، وساد الفساد بين العباد، وأصبح الإنسان يبطن غير ما يعلن، وقلب الناس لبعضهم ظهر المجن :

تباعُ الضمائـــرُ في سوقهـــا     وتُشْرى بأجرٍ بخيسِ الثَّمنْ

يسيرُ الزمـــانُ بأخلاقِـــــه     فكـلٌ رداءٍ عليــه نَتَـنْ

وشرُّ البـلادِ بـــلادٌ بهـــا     صديقٌ يلفُّ عليك الكفَـنْ

فإن رُمْتَ منه بصيصَ الرجـا     يصدُّ ويقلبُ ظهـرَ المجــنْ

وإن دونَ قصدٍ بـدَتْ هفـوةٌ     يضيعُ هــواه كأن لم يكـن

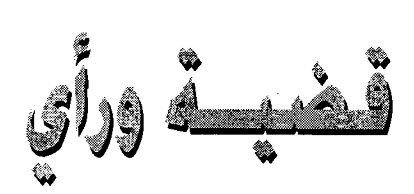
ولم أرَ فوق الثــرى فتنـــةً     كقـلب قبيحٍ لوجــهٍ حسَـنْ

فكم من قبيحٍ صفا عيشُه     وكم من جميلٍ طواه الزمـنْ

إنها قصيدة جميلة معبرة، كل بيت فيها ينطق بحكمة واقعية نعيش بعضا منها، وقد استقاها الشاعر من الواقع ولم يأت بها من الخيال .

وبعد ؛ فإن أسلوب الشعراء الثلاثة هو الأسلوب العربي الأصيل، فقصائدهم كلها من الشعر الموزون المقفى وليس فيها ما يسمى بالشعر الحر أو المنثور، وفيها يتبين أنهم من أبناء مدرسة الأصالة، ونفسهم الشعري طويل جدا يدل على ذلك طول القصائد خاصة عند فائز وعبد الرحمن .

أما الأوزان التي نظموا عليها فهي الأوزان المشهورة ( الكامل والطويل والبسيط) إلا قصيدة واحدة من ( المتدارك) عند فايز، وقوافيهم كلها مطلقة إلا قصيدة ( الحكم) عند فايز وقصيدة ( أماه) عند عبدالله، فالقافية مقيدة، كما نجد تأثرهم ببعض الشعراء القدامى يظهر من خلال الأبيات الواضحة التأثر بالشعر القديم وهناك هنات بسيطة في اللغة والوزن لا تؤثر جداً في شكل القصيدة ولاشك أن الدرب طويل أمام هؤلاء الشباب وهم بحاجة للأخذ بأيديهم إلى بر الأمان . . والله الهادي إلى سواء السبيل .


قضيـة ورأي

# وقت الفراغ ... نعمة أم نقمة

د. عامر عبد الله الشهراني

لا أحد ينكر أن موضوع الوقت من الموضوعات الهامة ، فالوقت هو الحياة ، ومن أدرك أهمية الوقت فقد أدرك أهمية الحياة . وقد يكون هناك فترة من الزمن لايكون لدى الفرد فيها أي ارتباط أو نشاط يقوم به ، وهذه الفترة هي الفراغ ، وقد يطول الحديث عن وقت الفراغ وكيفية الاستفادة منه ، والفراغ سلاح ذو حدين فقد يتم استغلاله بطريقة جيدة وينعكس على إسعاد الفرد والمجتمع ، والاستغلال السلبي لأوقات الفراغ ينعكس ذلك على المجتمع من خلال حدوث العديد من المشاكل وإهدار للوقت والمال بما لايفيد .

وفي العصور القديمة وقبل بداية العصر الزراعي واستيطان الشعوب للأراضي والقيام بالنشاطات الزراعية المختلفة ، كان مفهوم الفراغ غير معروف لدى الغالبية العظمى من أفراد تلك العصور ما عدا الطبقات الغنية . وكل ذلك نتيجة لاعتماد حياتهم على الإنتقال من مكان إلى مكان آخر بحثاً عن مصادر القوت لهم ولمواشيهم ، وكانت الأسر في ذلك الوقت تعمل على توزيع المهام على جميع أفراد الأسرة ، وبذلك كل فرد يعرف دوره الذي يجب أن يقوم به ولا يوجد لديه وقت فراغ بل أن مهمته تستمر يتخللها فترات للأكل والنوم .

وقد يختلف تعريف الفراغ من شخص لآخر بناء على ثقافته وطريقة استغلاله له ، فهناك من يرى أن وقت القراغ يتمثل في الوقت الذي يستغله الفرد لإشباع حاجاته ورغباته عن طريق النشاطات المختلفة التي يقوم بها والبعض الآخر يرى أن وقت الفراغ هو الوقت الذي يكون فيه الفرد غير مرتبط في النشاطات الحياتية الضرورية ويستخدمه في الاسترخاء والتخفيف من الإجهاد والضغوط الناتجة عن ظروف العمل . ويرى الأغلبية أن وقت الفراغ هو الوقت المتاح للفرد بعد الانتهاء من قيامه بواجباته ونشاطاته اليومية .

وقد ذكر قنديل وزملاؤه (١٤٠٦هـ) أن الاجتماع الذي عقده أعضاء الميثاق الدولي للفراغ قدم تعريفاً للفراغ بأنه " الوقت الذي يكون للفرد فيه حرية التصرف كاملة في شغله وذلك بعد إنتهائه من عمله ومسؤولياته الأخرى " .

وبذلك يمكن تقديم التعريف التالي للفراغ بأنه قدر من الزمن لايوجد لدى الفرد أي عمل ويقضيه كيف يشاء .

وفي هذا المجال أقسم الله عز وجل بالزمن في سورة العصر في قوله تعالى : ﴿ والعصر ﴾ فقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن المقصود بالعصر هو الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر . وهناك مواضع أخرى ذكرت في القرآن الكريم حول الوقت . وقد حثنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على الاهتمام بالوقت والاستغلال الأمثل له فيما يعود على الفرد بالفائدة حين قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : " اغتنم خمساً قبل خمس ، حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك " فالحديث الشريف يحث على استغلال الوقت قبل حدوث ما يشغل عنه ، مثل المرض والاشتغال بأمور الدنيا والفقر والهرم .

**وفي هذا المجال قال الشاعر أبو العتاهية :**

إن الفراغ والشباب والجدة      مفسدة للمرء أي مفسدة

كذلك هناك اهتمام عالمي بوقت الفراغ ، وقد أسس معهد أوروبا للتربية وأوقات الفراغ لمناقشة الفراغ من جوانبه المختلفة ويعمل على دعم البحوث في مجالات الفراغ .

## الأسباب التي تؤدي إلى وجود وقت الفراغ :

شهد العالم تقدماً علمياً وتكنولوجيا أدى إلى إحلال العديد من الأجهزة والآلات لتقوم بالأعمال التي كان يقوم بها العديد من الأفراد . وتوفرت وسائل الترفيه المختلفة ووسائل المواصلات والاتصالات والتي عملت على توفير الوقت على الفرد مما أدى إلى وجود أوقات فراغ لديه .

وأدى وجود أنظمة محددة للعمل والعمال عملت على تحديد أعمار من يقوم بالعمل ، وعدد ساعات العمل التي يقوم بها الفرد في اليوم إلى وجود أوقات فراغ

لدى الأفراد . كذلك تم تحديد أنظمة الاجازات التي يستحقها الفرد أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً ، وكل هذا أدى إلى وجود وقت فراغ لدى العديد من الأفراد في المجتمعات بمختلف أعمارهم وبمختلف ثقافاتهم .

كذلك تحسن الأحوال المادية للأسر وأفرادها - خاصة الشباب- أدى إلى عدم حاجتهم إلى البحث عن أعمال تدر عليهم دخلاً مادياً ليوفروا احتياجاتهم ، وأدى ذلك بدوره إلى وجود أوقات فراغ لديهم .

## أهمية وقت الفراغ:

قد يتم استغلال أوقات الفراغ استغلالاً جيداً وهذا يؤدي إلى تحقيق بعض الاحتياجات للفرد من خلال مزاولة النشاطات المختلفة ( علمية ، ثقافية ، اجتماعية، وغيرها من النشاطات) . والاستغلال الأمثل لأوقات الفراغ قد يؤدي إلى تخفيف الاجهاد والضغوط الناتجة عن المهنة وتعمل على تجديد النشاط والحيوية لدى الفرد لكي يعود إلى عمله وهو كله طاقة وحماس .

وتشغيل الشباب في أوقات فراغهم يؤدي إلى إكسابهم للعديد من الخبرات والمهارات المختلفة ، وبذلك يمكن تقليل أوقات الفراغ لدى الأفراد ولا يتوفر لديهم الوقت للتفكير في النشاطات الغير المرغوب فيها .

وفي هذا المجال أوضحت العديد من الدراسات الاجتماعية المتعلقة باستغلال أوقات الفراغ وما يرتبط بها من سلبيات أن انحراف الشباب يعود إلى وقت الفراغ الذي يعانون منه ، ويحدث ذلك لأن الشاب لديه وقت فراغ وهذا الوقت يتيح له ممارسات بعض النشاطات والتي تكون غير مفيدة بل سلبية .

وذكر بدر ( ١٤٠٥هـ) أن الشباب في المملكة العربية السعودية لديه فراغ كبير بعد الارتباطات اليومية مثل الأكل والشرب والنوم والدراسة والحاجات الأخرى ، وهذه الارتباطات تتطلب حوالي ٢٠ ساعة والباقي ٤ ساعات عبارة عن وقت فراغ في كل يوم . ويؤيد ما ذكره بدر ما توصلت إليه دراسة الملك (١٤٠٥هـ) أن الشباب السعودي لديهم أوقات فراغ وأن الأبوين لهم دور كبير في اختيار طرق وأساليب شغل أوقات الفراغ المتوفرة لدى أبنائهم . أما دراسة الشثري (١٤٠٦هـ) فقد بينت أن ٦٠٪ من عينة الدراسة يمتلكون أوقات فراغ يومياً أكثر من ٣ ساعات، وساعات الفراغ في عطلة نهاية الأسبوع قد تكون أكثر من ٦ ساعات ولا يستغلونها الاستغلال

الجيد . وتوصل السدحان (١٤١٥هـ) في دراسته التي استهدفت التعرف على كيفية قضاء وقت الفراغ بين الأحداث المنحرفين والأحداث الأسوياء إلى نتائج مقاربة للدراسات التي تم ذكرها .

وللمؤسسات الاجتماعية أدوار هامة في توجيه الشباب لاستغلال أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع والفائدة ومنها :-

**١ - الأسرة :** هي المؤسسة الاجتماعية الأولى ، بل المدرسة الأولى ، والتي تعمل على تنمية اتجاهات وسلوكيات الطفل نحو القيم والمثل والأخلاق والصفات المرغوب فيها ونحو أهمية الوقت وكيفية الاستفادة منه . فالأسرة مسؤولة عن توجيه أفرادها التوجيه السليم نحو تنظيم الأعمال والاستفادة من أوقات الفراغ في النشاطات التي يقوم بها أفراد الأسرة بما يعود بالفائدة والنفع على الفرد والأسرة جميعاً . فالأب مسؤول عن متابعة ابنه والتعرف على كيفية قضائه لأوقات الفراغ ، وهو مسؤول عن اختيار الأصحاب الذين يقضي ابنه أوقات فراغه معهم ، وكذلك للأسرة دور كبير في إختيار وتوفير الكتب المفيدة التي يطلع عليها أبناؤهم .

كذلك الأسرة مسؤولة عن التخطيط الجيد لإستغلال أوقات العطل والأجازات في الترويح عن أفرادها والتنزه والتعرف على المناطق الأخرى من وطنهم . والله سبحانه وتعالى قد خصّ هذه البلاد الغالية بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ، فقد تقوم الأسرة بالتوجه إلى مكة المكرمة وأداء العمرة وإلى المدينة المنورة للصلاة في مسجد رسول الله ثم زيارة قبر الرسول والسلام عليه .

كل النشاطات التي تقوم بها الأسرة والتوجيهات السليمة تؤدي إلى الاستغلال الجيد لأوقات الفراغ وتحول دون انجراف أفرادها من الشباب في تيار الانحراف ويتكون لديه مناعة ضد الوقوع في السلوكيات المنحرفة وغير المقبولة اجتماعياً .

ومن الأمور الهامة في هذا المجال هو أن أفراد الأسرة ( الأب والأم) هما قدوة لباقي أفراد الأسرة في كيفية استغلال الفراغ . فعليهما أن يكونا قدوة حسنة في كل المجالات الحياتية عامة وهذا المجال خاصة .

وما يتبادر للذهن في عصرنا الحاضر حول دور الأسرة في توجيه أفرادها نحو الاستفادة من أوقات الفراغ يتمثل في السؤال التالي : هل تقوم الأسرة فعلاً بهذا الدور كما ينبغي ؟

**٢ - المدرسة** : التعليم النظامي في المدرسة يمثل المدرسة الثانية بعد الأسرة (المدرسة الأولى )". ومن المعروف أن دور المدرسة لا يقتصر على تقديم المعلومات والمعارف والخبرات والمهارات للطلاب فقط ، بل يتعدى ذلك إلى تنمية الاتجاهات والميول والقيم المرغوبة لديهم ، ومن هذه القيم والاتجاهات الايجابية الاستغلال السليم لأوقات الفراغ بما يعود بالنفع والفائدة على الطالب ومجتمعه .

المعلم في المدرسة وخارجها قدوة لطلابه ، وبهذا نتطلع أن يكون قدوة صالحة وحسنة لهم . ويجدر بنا هنا أن نذكر مثالا على استغلال الفراغ الذي قد يحدث أثناء اليوم الدراسي نظراً لتأخر أحد المعلمين في هذا اليوم لعذر ما . فيقوم معلم آخر (المنتظر ) بشغل حصة المعلم الغائب ، وكيفية استغلال وقت هذه الحصة قد يختلف من معلم لآخر . فلكي يكون المعلم قدوة حسنة لطلابه في استغلال وقت الفراغ بما يفيد ، يتحتم عليه أن يشغل هذه الحصة بما يعود على الطلاب بالفائدة . ووزارة المعارف حريصة على مثل هذه الحصص وقد أصدرت تعميماً بشأن ذلك يتعلق بالاستغلال الأمثل لها . وقد يتم ذلك عن طريق الذهاب إلى المكتبة وتوجيه الطلاب إلى قراءة كتب معينة ، أو الذهاب إلى المعمل وإجراء بعض النشاطات العملية للطلاب ، أو مشاهدة فيلم تعليمي في قاعة الوسائل ، أو مناقشة الطلاب في أحد الموضوعات التي يدرسونها والعمل على إثرائه .

كذلك يمكن أن تقدم المدرسة بعض النشاطات اللامنهجية وتوفر للطلاب الفرصة لمتابعتها وإنجازها ، وبذلك لايكون لدى الطلاب أوقات فراغ كبيرة تجبرهم على الانجراف في تيار الانحراف .

السؤال الذي نود أن نطرحه في هذا المجال هو ما مدى مساهمة المدارس بمراحلها المختلفة في استغلال أوقات الفراغ وتوجيه الطلاب الى الاستغلال الجيد لمثل هذه الأوقات ؟

**٣ - المسجد** : يعد المسجد من أهم المؤسسات الاجتماعية ، ففيه تقام الصلوات المفروضة ويسلم الناس بعضهم على البعض ويتم التعارف بينهم . وكان يقوم المسجد بدور المدرسة ففيه يتم تقديم الدروس الدينية وبعض المقررات الأخرى . وتعقد حالياً في المساجد حلقات الذكر والوعظ والارشاد ودروس تحفيظ القرآن

والندوات والمحاضرات الدينية . فرسالة المسجد تعمل على إتاحة الفرصة لقضاء بعض الأوقات التي تتوفر لدى الفرد ، وبذلك لايعاني من مشكلة الفراغ .

والسؤال الذي يتبادر للأذهان هو ما فعالية هذه النشاطات وما مدى استفادة الشباب منها للقضاء على وقت الفراغ والاستفادة منه فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة؟

وحكومة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين تبذل الكثير والكثير في سبيل الاستفادة من أوقات الفراغ لدى الشباب . وهى حريصة كل الحرص على توفير جميع السبل التي تساهم في التقليل من الآثار السلبية الناتجة عن أوقات الفراغ . ومن هذه الوسائل على سبيل المثال لا الحصر :

**أ - المراكز الصيفية :**

تعقد المراكز الصيفية في معظم مدن وقرى وهجر المملكة في بداية الإجازة الصيفية ، وهذه المراكز تضم العديد من النشاطات المختلفة والتي تعمل على تنمية المهارات والهوايات المختلفة ، وتشجع على القراءة والتأليف . وقد يمتد عمل هذه المراكز بعد انتهاء الإجازة الصيفية على طول العام .

**ب - الأندية الرياضية :**

تقدم الأندية الرياضية نشاطات رياضية بالإضافة إلى نشاطات ثقافية واجتماعية ، فقد تعتبر الالعاب الرياضية التي يتم مزاولتها في مرافق الأندية الرياضية وسيلة ترفيهية وصحية في نفس الوقت . وقد يكون هناك نشاطات اجتماعية أو ثقافية تهدف إلى تنمية بعض المهارات المختلفة لدى الفرد . فهي بذلك تعمل على توفير المكان المناسب للفرد لإستغلال الوقت المتاح له ( الفراغ) .

**جـ - الأندية الأدبية والثقافية :**

تقدم الأندية الأدبية والثقافية المنتشرة في معظم مناطق المملكة العديد من الندوات والمحاضرات واللقاءات المختلفة . ويوجد فيها مكتبات جيدة تضم العديد من الكتب والمجلات المتنوعة وتفتح أبوابها للزائرين والمطلعين . وبذلك تساهم الأندية الأدبية والثقافية في توفير المناخ الذي يساهم في التقليل من الاحساس بأوقات الفراغ .

### د - المكتبات العامة :

هناك مكتبات ضخمة في مدن المملكة الكبيرة ، ووزارة المعارف تعمل على تزويد المكتبات العامة المنتشرة في معظم مدن المملكة بالجديد من الكتب والمراجع . ولكن العيب فينا نحن ، فنحن قوم لا نقرأ كما يجب . فالإنسان لا يستغني عن الأكل والشرب ، كذلك هو بحاجة إلى غذاء العقل ( القراءة ) . والقراءة الهادفة تعد من مصارف الوقت النافعة .

### هـ - توظيف الطلاب في العطلة الصيفية :

هناك تنسيق بين مكاتب العمل والقطاع الخاص حول توظيف عدد من الطلاب في الإجازة الصيفية ، وبذلك تتاح الفرصة للشباب في اكتساب الخبرات والمهارات التي قد تفيدهم في حياتهم المستقبلية . والوظائف الصيفية تقضي على أوقات الفراغ التي قد يعاني منها الطلاب خلال الصيف .

### و - على مستوى التعليم العالي :

تقدم الجامعات السعودية ممثلة في عمادات خدمة المجتمع والتعليم المستمر برامج ودورات تدريبية ، فهي بذلك تتيح الفرصة لمن يتوفر لديه وقت فراغ لكي يستفيد من هذه الدورات والبرامج المختلفة .

### ز - أجهز الإعلام :

تعمل أجهزة الإعلام المختلفة سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية على تقديم العديد من البرامج المختلفة ( دينية ، ثقافية ، علمية ، تربوية ، اجتماعية ، رياضية، . . . . ) والتي قد تساهم بشكل كبير في القضاء على أوقات الفراغ وتعمل على زيادة خبرات الفرد ومعلوماته وثقافته العامة والخاصة .

وأخيراً ، هل يمكن القول بأن الفراغ مشكلة اجتماعية ؟ فإذا كان كذلك فالمشكلة تحتاج إلى دراسة مستفيضة من جميع جوانبها للتوصل إلى الحل المناسب .

والله من وراء القصد .

# المراجع

الإمام الحافظ أبي الفدا إسماعيل بن كثير " تفسير القرآن الكريم " الجزء الرابع، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص ٥٨٥.

محمد الألباني " صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣، الجزء الأول، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص ٣٥٥.

عبد المنعم بدر، مشكلاتنا الاجتماعية : مشكلات أوقات الفراغ واتجاهات الترويح، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٤٠٥هـ.

شرف الدين الملك، جنوح الأحداث ومحدداته في المملكة العربية السعودية، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض، ص ٤٣.

عبد العزيز حمود الشثري، وقت الفراغ وشغله في مدينة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٦هـ.

عبد الله ناصر السدحان، قضاء وقت الفراغ بين الأحداث المنحرفين والأحداث الأسوياء، مجلة الأمن، العدد التاسع، ١٤١٥هـ ص ص ١١٩ - ١٨٦.

ابراهيم قنديل وآخرون، الأوقات الحرة لدى الشباب السعودي، الطبعة الثانية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧.

# الفراغ : بين مفهومه ومسبباته

د. سالم بن علي القحطاني

ان مفهوم الفراغ (Leisure ) من المفاهيم التي تحمل العديد من المعاني حسب تصور الفرد لهذا المفهوم ، وقبل الحديث عن تفاصيل هذا المفهوم وأبعاده فإنه من الضروري توضيح مضمونه بشكل عام . فالفراغ أو وقت الفراغ قد يحمل معنى ما بعد العمل أوالدوام الوظيفي أو الالتزامات التي كانت على الفرد .

ومع بداية مناقشة هذا المفهوم فإنه يقترن بمجموعة من التساؤلات ، منها :

- ماذا يعني الفراغ بالنسبة لكل فرد ؟
- هل الفراغ موجود عند الناس أم عند نسبة منهم فقط ؟
- هل هناك بالفعل من يشتكي من الفراغ ؟ وهل هناك من يشتكي من عدمه ويتمنى أن يحصل على بعض الفراغ ؟
- هل هناك من يدعي أن الفراغ مشكلة كبيرة في حياته اليومية ؟
- هل هناك من يترتب على وقت فراغه العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية . . . ؟
- هل هناك من يرى أن وجود الفراغ في وقت الانسان مشكلة كبيرة ولابد من إيجاد حلول لها ؟
- هل هناك من يقول أن الإنسان الجاد لايعرف الفراغ ؟
- هل هناك من يحاول أن يشغل نفسه عندما يشعر بوقت الفراغ ؟
- هل يوجد بعض الوسائل المخصصة لوقت الفراغ ؟
- هل هناك من يميز بين تأثير هذه الوسائل وعدم جدوى بعضها ؟

وهناك تساؤل آخر وهو ، هل من فراغ يوجد في وقت المسلم . . . . أم أن المسلم دائما غير متفرغ ومشغول في أمور عبادته . . .

على أية حال قد لاتنتهي هذه القائمة من التساؤلات ، كما أن الإجابة الشافية قد لاتوجد للاجابة على كل هذه التساؤلات ، الأمر هنا يكمن في رؤية هذا المفهوم

(الفراغ) من الجانب الذي يتصوره البعض كمشكلة قائمة عندهم - ذكور واناث - ثم ما قد يترتب على وجود هذا الفراغ عندهم .

وقبل البحث في قضية الفراغ وما يترتب عليها ، هناك العديد ممن لديهم الواجبات والالتزامات المكلفين بها ، مثل الصلاة وكافة أنواع العبادات التي تأخذ من كل مسلم ومسلمة وقتاً معيناً من الجدول اليومي لكل منهم وهناك الالتزامات العائلية عندما يصبح ذلك الفرد مسؤولاً عن عائلته ، ومسؤوليات العمل الوظيفي سواءاً كان عملاً حكومياً أو خاصاً أو دراسة ؛ كما لا ننسى أوقات الراحة المطلوبة مثل النوم الذي يأخذ نسبة كبيرة من وقتنا ، وهناك الهوايات المختلفة مثل القراءة والرياضة والاستماع للمذياع والتلفاز وغيرها ، فهل بعد هذا كله يوجد وقت للفراغ الذي قد يشكو منه مجموعة من الناس أم لا ؟

يبدو لي أن الفراغ الذي يرافق حياة مجموعة من الناس في أي مجتمع ولو قلنا مجتمعنا الذي نعيش فيه هو آت من خلل موجود في تركيبة الفرد النفسية والعائلية وقد تصل إلى الاجتماعية إذا كان هناك أكثر من فرد في مجتمع يعانون من هذا الوضع وهو الفراغ . فكأن الفرد أي كان هو الذي قد يسبب الفراغ لنفسه أو عن طريق محيطه الاجتماعي فيشعر بالملل وعدم وضوح منهج لحياته التي يعيشها . وعلى سبيل المثال لماذا يوجد اثنان في مرحلة من العمر قد تكون مبكرة أو متأخرة أحدهما يتذمر من وجود الوقت أو الفراغ والآخر يشكو من ضيق الوقت وعدم وجود أي فراغ عنده . كأن هدف الحياة - حسب تصوري - اتضح للأخير فيما هو مطلوب منه في حياته اليومية وعلى المدى البعيد ، أما الأول فيمكن أن هدفه غير واضح وحتى لو اتضح قد لا يرغب السير وفقه ، وهنا يدخل تأثير عوامل أخرى منها عدم الرغبة في العمل أو الكسل أو تفضيل الفراغ بدون هدف محدد وكأن ذلك الفراغ لأول وهلة سوف يبدله بشئ أفضل .

. . . . حتى لا أتوه في الحديث وأتوّه معي الآخرين في هذه القضية يجب أن أحدد ماذا أعني . فإن كان الفرد مشغولاً بالفعل ولا يوجد لديه الوقت حتى لقراءة ما يُكتب فهو لايعاني من مشكلة الفراغ ولكنه يسأل عن ذلك الفراغ لعله يساعده في إيجاد التزام آخر وهو القراءة مثلاً . وآخرون من نفس الفئة وهم هؤلاء الذين منهمكون في التزاماتهم الوظيفية من بداية الأسبوع حتى نهايته ثم بداية الأجازة الأسبوعية ، فالوضع يوحي بأنه قد خرج من عمل وظيفي ودخل في عمل عائلي

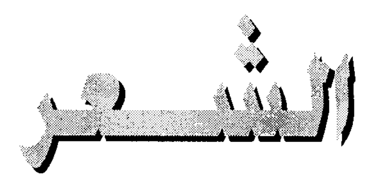
واجتماعي - وما أكثر الالتزامات الاجتماعية التي أصبحت عالة على العديد من الواجبات الأخرى . إذاً فهو لايدخل في مضمون هذه القضية إذا كانت واجباته والتزاماته هي في الحقيقة وفق أهدافه الصحيحة ومتطلبات حياته ، فالمشكلة عنده تكمن في كيفية عدم تعارض هذه الالتزامات اليومية ، الأسبوعية ، . . . . . حتى لايصبح في مشكلة أخرى ليست الفراغ بل الضغوط النفسية المترتبة على عدم القدرة في تنظيم الأمور والواجبات المختلفة المفيد منها وغير المفيد ، فهل القضية الجديدة أصعب أم قضيتنا - قضية الفراغ ؟

أما إن كان ممن لديهم قضية الفراغ فقد يكون الفراغ نفسه سبباً في عدم معرفة قضيته ( الفراغ) وأوجه الحلول لها . ولكن مفهوم قضية الفراغ يبدو أصعب من الحل ، لأن الهدف لم يتضح ، فلو عرف الأب ، الأم ، الطالب، الموظف . . . . أهدافه في حياته وواجباته نحو دينه ووطنه وأسرته ومجتمعه لما وضع نفسه في هذا البعد المجرد الذي لايستطيع أن يمسك بمحيطه لأنه فقد المسلك الذي لابد أن يسلكه ليخرج من ذلك الفراغ . لكنه يجب ألا نحمل القضية من ينتسب إليها قبل تساؤلات أخرى لعل في مضمونها مخرجاً من قضيتنا . فلقد خلقنا الله سبحانه وتعالى وأوجدنا من العدم ، فقد وردَ في الأثر عن ابن عمر ( رضى الله عنهما ) ( . . . أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً . . . ) ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اغتنم خمساً قبل خمس . . . . » أما تعلم أيها القارئ أن أباك وأمك وأخاك وآختك واسرتك ووطنك ومجتمعك ينتظرون منك تأدية دورك وواجباتك تجاه كل منهم .

فهل تشكو من الفراغ أم إذا عرفت واجباتك ومسؤولياتك الكثيرة قد تبحث عن الفراغ ولا تجده .

وقبل الختام لابد من التوجيه والارشاد في كيفية أداء رسالتنا في هذه الحياة التي تحتاج إلى وقت طويل فلم نخلق عبثاً وإنما لرسالة الجميع مطالب بها فأين وقت الفراغ إذا كانت المهام أكثر من الوقت . . . .

**والله من وراء القصد، ، ، ،**


الشعر

# مشرق الأضواء

أحمد عبد الله عسيري

وطن النجوم ونخلة الصحراء
يا وجهَ أمي واخضرار دمائي

يا غابة للشمس تنشر عطرَها
وعلى جبينك مشروقُ الأضواء

يا موسمَ النعناع حقلُك مهجتي
أودعت عشقَك سدرةَ العلياء

عُريان يكسوني ثراك عباءةً
ظمآنُ في يده شهيُ الماء

ألقى عليه الفجرُ ساطع ضوئه
فمحت أشعتُه خطى الظلماء

وتلاقت الأمجادُ فوق رماله
تنساب نوراً في الربى الخضراء

أصغي لصوت الريح في عرصاته
عصفت بكل مخادع ومرائي

ألق الضحى يغفو على أكتافه
ومشى يحدق في ذرى الجوزاء

نبتت على ظهر الخلود جبالُه
مزهوةً في عزة وإباء

هو حلمنا المحفور فوق جباهنا
ولحبه قيثارتي وغنائي
في أروع اللحظات أشرق موطني
فوق الرياحِ الهوجِ والبيداء
وتدفقت عَبر العصور حكايةٌ
كالبرق في سحب الدجى الظلماء
نورٌ على البطحاء شع ضياؤه
فتوهجت مغبرةُ البطحاء
والكون مئذنةٌ تَرَدَّدَ صوتُها
( الله أكبر ) تحت كلِ سماء
وتخضب الانسانُ روحا طاهرا
أنفاسُه عشبيةُ الأفياء
ركعت رقاب الكفر تحت سيوفه
فأقالها من محنة وبلاء
من ها هنا جبريل طاف عبيره
بأريج وحيٍ فوقَ غارِ حراء
من ها هنا عبرت خيولُ محمد
وتعانقت في ساحةِ الشهداء
يا عابدَ الأصنام تسجدا صاغراً
في ظلمة الآثام والبغضاء
ما كان أشقاهم فجاء نبينا
كالشمس ملءَ الأرض والأحياء

ومــحــا خــتــامُ المرسلين غــشــاوةً
وتــطــهــروا مــن لــيــلــة لــيــلاء
وتــرعــرع الــوطــنُ المقــدس في الــورى
يــخــتــال مــثــل الــشــعــلــة الــبــيــضــاء
من ها هنا ســارت مــواكب أمــتــي
تــطــوي الــردى وغــوائــل الأعــداء
وبقــيــت ياوطني ســمــاؤك حــرةً
لاتنحني كــالــقــمــةِ الــشــمــاء
لم يــقــبــل الــصــقــر المحلق ذلــة
فــبــنــى صــروح الــعــز أيَّ بــنــاء
وثبت عــلــى الــهــيــجــاء شم رجــالــه
ركــضــت بكل مــفــازة وفــضــاء
عــبــدالعــزيز على الزمــان قــصــيــدة
تــزرى بما فــي الــكــون من شــعــراء
عــبــدالعــزيز على يديه تــوحــدت
قــمــم الجــبــال ورملة الــصــحــراء
طــلــعــت عــلــى الــتــاريخ أعــظــم دولــة
مــن بــعــد طــول تمزق وعــنــاء
فــقــبــائــل الفلوات تــأكــل بعــضــهــا
ودمــاء داحس في فم الــغــبــراء
والموت كــالمســعــور في وديــانــهــا
دامي الخطى ومــقــابــر الأحــيــاء

ياسيد الصحراء أنت صنعتها

من مبدأ وعقيدة غراء

أنت النهار أضأت ليل شتائها

فتبسمت كمليحة عذراء

سارت على اسم الله دولةُ مصحفٍ وحضارة وتقدمٍ ورخاء

تأسو جراح المتعبين من الضنى

عطف الكريم ورحمة الرحماء

وتضم أطفالَ الجياع لصدرها

تحنو على الأيتام والضعفاء

وتعيد كلَ مشرد لدياره

يشكو الأسى ومخالبَ الأرزاء

لولاك ياوطني لضاعت أمةٌ

وتمزقت في الهوة السوداء

# بقَايا الذكْرَياتْ

حسين أحمد النجمي

شَـــوقـي إلـيـكِ كـــشـــوقِ الأرضِ لـلـمـطـرِ
وكـــاشـــتـــيـــاق فـــرَاشِ الروضِ لـلزَهَـرِ

وكـــانسكاب الروى مـنْ أفـــقـــهـــا ألقَـــاً
أو نَســـمَـــةُ عَـــبـــرت في هَدْأة الـسَـــحَـــرِ

فَلستُ أنسى طُيـــوفـــاً كنْتَ أرقـــبـــهـــا
تَلُوحَ مِـنْ أفـقِ الأحْـــلامِ فـي الـصِـــغَـــرِ

قـــدْ كنتُ اسْـــتَـــرق الألحـــانَ هَامـــســـةً
مـنْ صَـــــوتـكَ الـدافِـيء المـسْـكـوبِ فـي وَتَـري

في صـــوتِ أغْنيـــةِ الأمْـــواج تَعـــزِفـــهـــا
قـــيـــثـــارةُ الريح تَـتْلُوها علـى البَـــشـــرِ

فـي زورقٍ رفَـعَ الأحْـــزانَ أشـــرِعـــةً
فـي اليـمّ مـنْـسَـــرِباً مـــا ملَّ منْ سَـــفَـــرِ

حـــســبتُ أني سَـــأبْقى العُـــمْـــرَ مُنتـــشِـــياً
وتَسْـــتَطيـبُ مَـــغَـــاني العِـــشْقِ في عُـــمْـــري

لَـكـنَّ عَـــــــالمك الـورْدِي فَــــــــارقـنـي
فَـلَـمْ يَـعُـــــدْ يَـرْسُـمُ الأفْــــرَاحَ فـي صــــوَرِي

ولمْ تَـعُــــدْ ضَـــحكاتُ الأمسِ فـي شَــــفَــتـي
تَنْســـابُ دَافِـــئـــة منْ نَـشــوةِ السَــمَــرِ

لَـكـنَ ذكْـــــرَاك مــــــازالـتْ تُـؤرقِـنـي
وتَرْسُـمُ الشَـــوْقَ فـي سَـــمْــعي وفـي بَصَــري

تُـطـلُّ مـنْ أفـقِ المَـاضـي لـتـــــســـــألـني
بلهْـــفَـــةِ العَــاشِقِ النَشْـــوانِ عنْ خَـــبَــري

وعـنْ عُــــيــونٍ بـدَمعِ الحُــزن مُـــتــرعـــةٍ
قـــدْ زَانَهـــا خَـــالِقُ الأكْــوَانِ بالحَـــوَرِ

عـنْ وَجِـــهِـــهَـــا شَعَّ بالأنـوار مـــؤتلقـــاً
وقــــدْ تَلـوَّنَ خَـــداَهـا مـن الخَــــفــــرِ

فَـــــقـلْـتْ يـا ذكْــــــرَيـات الحُـبُ لسْـتُ أرى
أذنْنا تـصـــيغ لـصَـــوتِ الحُبِّ فــانتَــحِــري

وأسْلـمـي الرُوحَ لـلآلام تَـسْـحَـــقُـــهـــا ...
فَــقَلْبُ مَــحــبــوبـتي أقـــسى من الحَــجِـرِ ..!

# الجهاد

## صلاح عبدالحميد الأزهري

١- طَيْفٌ ألمّ بجنحِ لَيْلٍ سَاهِدِ ... فَتَأرَّقَتْ مِنْهُ جَوَانحُ عَابِدِ

٢- وَ تأجَّجَتْ جَمَراتُ حُنْقِ جِراحِهِ ... وَتَكَلَّمتْ بِأوَارِهَا لَمْ تَخْمُدِ

٣- أتَنَامُ في دِفءِ الفِرَاشِ ولِينِهِ ... وَأخُوكَ في الإسْلامِ قَبْضُ الحَاصِدِ

٤- رَصَدَتْ جُمُوعُ الكُفرِ كُلَّ سِنَانِها ... ورُؤُوسِ فِتْنيها وكلَّ معانِدِ

٥- لاتَبْتَغي إلاّ حِمَاكَ ، قُلُوبُهُم ... كَادَتْ تَمُورُ بكلِّ حِقْدٍ وَاقِدِ

٦- مَاقِيمَةُ الدُّنْيَا وَقدْ سُكَ قَدْ غَدا ... نَهْبَ الذِّئَابِ فَرِيسَةً للكَائدِ

٧- وَخَليلُكَ الغَالي تُكَبِّلُهُ اليهُو ... دُ القَاصدين لَهُ لأسْوأ مَقْصِدِ

٨- لمّا أتَى شَهْرُ الصِّيَام بِطُهْرِهِ ... سَاقُوا سفيهَهُمُ لِنيلِ المسْجِدِ

٩- ذَبَحُوا التقَاةَ بِه بِلَيْلٍ غَادِرٍ ... شُلَّتْ يَدُ الجَاني وَشَاهَ المعْتَدي

١٠- يبْكُونَ حَائِطَهُمْ بِدَمْعٍ زائفٍ ... ضَلتْ أغانِيهمْ بقَلْبِ المنشدِ

١١- فَالحِقْدُ قَدْ حمَلُوهُ طيَّ قُلُوبِهمْ ... ودماؤُهُمْ مَسْمُومَةٌ بتَوَعُّدِ

١٢- رَضَعَ الخديعةَ منْذُ خَيْبَر نَسْلُهم ... للشَّرِ دَرُّهُمْ بِضَرعٍ أسْوَدَ

١٣- فبنو النّضيرِ وبنُو قَرِيْظةَ همهمْ ... فَتْكاً وذبْحاً في رِجَالِ مُحَمَّدِ

١٤- يَخْفُون مُرَّ الحقْدِ تَحْتَ جُلُودِهِمْ ... صَفُرَتْ وُجُوهُهم بِسُمِّ الحَاسِدِ

١٥- لاتَحْسَبَنّ بَني يَهودَ قَدْ ابْتَغَوا سِلْماً تُعزُّ بِه شَرِيعَةُ أحْمَدِ

١٦- عَادوا إلى المَكْر الدَّفين ، نِفَاقُهم أدْهَى وأشْرَسُ ، عَهْدُهُم لَمْ يُحمْدِ

١٧- فإلامَ نُخْدَعُ بِالوُعُودِ ونَبْتغي عَرَضَ الحيَاةَ بِظِّل أعْتى جَاحِدِ

١٨- إنّ الحَياةَ بِذِلَّةٍ وَسكينةٍ لهي المماتُ لخانعٍ مُتَبَلِّدِ

١٩- لاتبخلوا بَذْلَ الدِّمَاءِ لِعِّزكُمْ فَاللهُ واعِدُنَا بأعْذَبِ مَورِدِ

٢٠- أيْنَ الأولى خَضبَ الثَّرى بِدِمَائِهِمْ خَاضُوا الغِمَارَ بِقُوّةٍ لَم تَخْمد

٢١- سَاحَاتُنَا شَهِدَتْ أسُود للْوَغَى مَا كَانَ دَيْدَنُهم لِغُنْمٍ بالْيَدِ

٢٢- هَبُّوا لِنَصْرَةِ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَالرُّعْبُ حَلَّ بِكلِّ قَلْب كَائِدِ

٢٣- قَد حَثَّهُم دَاعِي الجِهْادِ فَأسْرَعُوا بِعَزائمٍ تزري بَكُلِّ مُهَنَّد

٢٤- وكأنُهمْ مِنْ طُولِ مَا عَهِدُوا الوَغَى أبْنَاؤهَا فَعُدُّوهُمْ لَم يرْشَدِ

٢٥- قَدْ أيْقَنُوا أنَّ الجِهَادَ فَرِيضَةٌ في ظلِّه قَدْ عَزَّ دِينُ الوَاحِدِ

٢٦- فَهوَ السَّنَامُ لدِيننا لا نَبْتَغي إلاّ عَقيدتِنَا وَدَحْرَ الحَاقِدِ

٢٧- أوْصَى بِهِ خَيْرُ البَرِيّة جُنْدَهُ فَتَدَافَعُوا زُمُراً وَرَاءَ القَائد

٢٨- قَاد الجيُوشَ وَمَا ابْتَغَى عَرَضَ الحَيَاةَ وكَانَ فِيه بِزَاهِدِ

٢٩- يتزاحمُونَ إلى المنُونِ وَقَد شَرَوْا بِنُفُوسِهِمْ وَدِمَائِهِمْ فَوزَ الغَدِ

٣٠- لا تَغْمِدُوا أسْيافَكُمْ بَلّ شَرِّعُوا أجْوادَهَا عِزاً بَغَيْر تَردُّدِ

٣١- لاتركَنُوا لِعُهُودِهِم أبداً ولا تَخْبُوا عَزَائمكُمْ فَيرْتَع مُعْتَدي

٣٢- إنَّ الجِهَادَ شَرِيعَةً وضَاءةً في عَزْمِهِ نَصْرٌ لِكُلِّ مُجَاهِدِ

# إليك ياعروس الجنوب

فاطمة صالح جاسر

١ - كُلُّ المحَاسنِ في عَينَيْكِ أسْرَارُ ... تَحْكي جَمَالَك أغْصَانٌ وأزْهَارُ

٢ - وكُلُّ نَسْمَة فَجْرٍ حِيْنَ أرْقُبُهَا ... عَلَى جَبِيْنِ المدَى للبوحِ تَخْتَارُ

٣ - ألهبتِ حِسِّي فَجِئْتُ اليَوْمَ مغْتَبطاً ... وَفي فُؤادي أنْغَامٌ وأوْتَارُ

٤ - وَهَا أنَا جِئْتُ مَفْتُوناً أسَامُرهَا ... وَزَورقي عَاشقٌ تُغريهِ أقْمَارُ

٥ - فَلَيْلُهَا أنْجُمٌ تُهْدِي الضِيَاءَ لَنَا ... وصُبْحُهَا أسْطُرٌ في الأفْقِ أشعار

٦ - وَدَوْحُهَا في صَحَارِي الأرْضَ قد سَحقتْ ... وَفي مرابعها للغَيثِ أنهار

٧ - ياسِحْرُ أغْريتني بالعِشْقِ فانْتفعتْ ... سفَائني ، وطوى الأميالَ إبحارُ

٨ - أيقظتَ أخْيلتي الوَسنى بقافِيةٍ ... يَنْسَاب في إثْرهَا لَحْنٌ وقيثار

٩ - مَازَال فيكِ البهاءُ الجَمُّ مُنْفَرداً ... حِينَ استبدَّ بكِ رَعدٌ وأمْطارُ

١٠- كَمْ مُولَعٍ بكِ في عَينَيْهِ أسْئلَةٌ ... عَنْ حُسْنكِ الجَمِّ ، طافَتْ فيهِ أفْكارُ

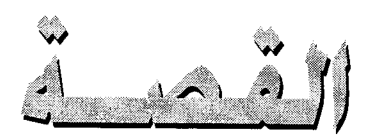
١١- أنتِ الهيامُ الذي مَازلْتُ أعشَقُهُ ... لاتَعْجَبُوا مِنْ هيَامٍ بَاتَ يَحْتارُ

١٢- حُسْنُ النَسَائمِ يُغْري في الضَحى سُفُني ... وفي دَمَي لحنين الحسن أعْذَارُ

١٣- النَجْمُ في قَسَمَاتِ الليل مُرْتَسمٌ ... والصَمتُ يَقْطفهُ شِعْرٌ وسُمَّارُ

١٤- وغَادَرَ الليل مَسرُوراً ، فأعقبهُ ... صُبْحٌ ، لَهُ مِنْ عَظِيمِ النُور آثارُ

١٥- جَمَالُ أرْضِكِ يَا أبها يُدَاعِبني ... وَرَوضُ شِعْري تَغَنتْ فيه أطيارُ



# وانتهى كل شيء

هدى سعد أبو غبران

دق جرس الساعة في أحد أركان ذلك القصر الكبير الذي يحوي أفخر الأثاث وأرقى أنواع التحف والمرايا . . . . كل شيء فيه ناطق بالثراء والغنى ، فرش راق يحمل لوناً واحداً دليلاً على ذوق من اختاره . إنهم كبار المهندسين ومصممي الديكور . . . في البلد . . . دق جرس الساعة من أجل إيقاظ منى الخادمة . . . استيقظت لتخطر بخطى متتالية متجهة نحو المطبخ لتجهيز وجبة الإفطار وعقارب الساعة تشير إلى السادسة صباحاً . . استيقظت ليلى مربية الأطفال أزالت الستار عن النوافذ في كل مكان ( من الفيلا ) لكي يبدأ عبير أزهار الحديقة الغني بالتسلل إلى داخل ( الفيلا ) الجميلة . . . ثم صعدت إلى الطابق العلوي من أجل إيقاظ الأبناء دقت برقة ولطف على باب غرفة أحمد الابن الأكبر للعائلة دخلت عليه ورفعت من على وجهه الغطاء وبحنان أم قالت له صباح الخير يا أحمد استيقظ وابدل ملابسك . . نحن في انتظارك على طاولة الافطار خرجت ليلى متجهة إلى غرفة الفتيات طرقت الباب ودخلت لتجد نورا والابنة الكبرى تغط في نوم عميق حاولت ليلى إيقاظها . . . نورا . . . نورا استيقظي ورتبي كتبك ألست ذاهبة إلى المدرسة . لكن نورا لم تجب لقد أقفل النوم أجفانها بكل قوة عجزت ليلى بكلامها أن تفتحها . . . اتجهت بعد ذلك ليلى ، إلى سرير ريم الأخت الشقية الصغرى صاحبة الخمسة عشر ربيعاً الممتلئة حيوية ونشاطاً وخفة روح سريرها مغطى بمجلات الشباب وأشرطة الكاسيت . . . وضعت ليلى أطراف أناملها على خديها المتوردتين وبصوت هادي لطيف ريم استيقظي . . . . وبشقاوة المراهقات قفزت من على سريرها متجهة نحو النافذة لفتحها . . تركتها ليلى متوجهة حيث آخر العنقود وأهدأ الأطفال على وجه الأرض كما تقول ليلى . . . وبحنان كبير وحب عميق رفعت ليلى غطاء ثامر عن وجهه وقبلته وبدلال طفولي قالت له : صباح الورد يا أجمل

وردة . . . قبلها ثامر وهو يلوذ بحنانها وشبك أنامله بأناملها ثم نزل عن سريره مودعاً دفئه أبدلت ليلى ملابسه وحمل حقيبته بعد أن وضعت يدها في يده واصطحبته إلى حيث طاولة الإفطار . بعد دقائق لم تتجاوز العشر نزل أحمد طالب الجامعة الهادي المنطوي على نفسه الذي لايتحدث بأكثر من ثلاث أو أربع كلمات في اليوم جلس على الطاولة يحمل في يديه بعض الأوراق وإحدى المذكرات الجامعية . . . نزلت القطة المشاكسة ريم تردد بعض الكلمات وإحدى الأغنيات الأجنبية . . . وبصوتها الغجري قالت : هاي أحمد ، ، وقبلت ثامر قائلة : أين أنت لم أرك من يوم أمس ارتشفت رشفات من كوب الحليب وهي واقفة ثم خرجت حيث يوجد « سيد » السائق الخاص بالعائلة وركبت السيارة منتظرة ثامر . . . خرج ثامر تصطحبه ليلى ، حاملة له الحقيبة . . . قائلة لسيد : أرجوك على مهلك وانتظر ثامر حتى يدخل المدرسة . . . وعد في الحال . . نادت ريم : سيد بسرعة . . . صديقاتي في انتظاري . . حمل أحمد كوب الشاي في يده متجها نحو الصالون . . . سألته ليلى هل ستنتظر عودة السائق يا أحمد . . . ؟ كلا سوف أذهب بسيارتي . . . ليلى ما زالت قيد الإصلاح - أحمد . . بعد برهة كلا سوف أذهب بالأخرى . . . ثم انصرف مودعاً ليلى . . . وكعادة الخادمة قامت بدورها في المنزل وأخذت في الدوران كالنحلة . . . أما ليلى فذهبت للاهتمام بما يخص الأولاد . . . علمت بعدم ذهاب نورا للمدرسة وهذه المرة الثالثة التي تتغيب فيها دون علم والدها أو والدتها . .

وفي تمام الحادية عشرة والنصف دق الهاتف الخاص بالخادمة داخل المطبخ إنه صوت أم أحمد . . . منى أحضري كاس العصير . . . وما هي إلا لحظات حتى حضرت منى إلى غرفة الوالدين وبكل هدوء دخلت وهي تقول . . صباح الخير أم أحمد . . صباح الخير . . . أخبري ليلى أن تنبه سيد بأن يجهز السيارة سوف أخرج . . . وبعد ساعة مكثت فيها أم أحمد أمام خزانة ملابسها حائرة ماذا ترتدي لكن كانت الخرجة هذه المرة للسوق وإلا لما ارتدت شيئاً سبق لها ارتداؤه . . . نزلت أم أحمد قابلتها ليلى . . صباح الخير . . ردت الأم : صباح الخير . . . هل السيارة أمام الباب . . ؟ ليلى . . ؟ نعم . سيدتي ماذا نصنع على الغداء ؟ . . بعدها خرجت أم أحمد وقد أخبرت ليلى بما تصنع ونبهت عليها بعدم إيقاظ والد أحمد حيث إنه عاد ليلة البارحة في ساعة متأخرة وهو مرهق . . ما عليكم سوى تسجيل

أي مهاتفة له وتحديد موعد لها . . . بعد مضي نصف ساعة رن الهاتف . . إنها مديرة مدرسة نورا . . الاستاذة سارة . . ليلى : مرحباً يا استاذة . . سارة . . أريد التحدث إلى والدة نورا . . . ليلى : حاضر وشكراً على المتابعة سارعت ليلى إلى غرفة نورا وطرقت الباب دخلت لتجد نورا مستيقظة لكنها مازالت جالسة في سريرها . . عاتبتها على تغيبها وتأخرها في النوم . . . ابتسمت نورا محاولة الاعتذار . . خرجت ليلى . . لتتبعها نورا بعد أن ارتدت ملابسها الأنيقة وتعطرت بعطرها الذي يسبقها إلى أي مكان تذهب إليه . . . نزلت إلى صالون الفيلا . . . وأدارت جهاز التسجيل على موسيقى هادئة . . . ذهبت إلى المطبخ ووقفت أمام منى وأناملها الرقيقة الجذابة تداعب خصلات شعرها الأشقر الطويل طلبت فنجان قهوة . . . انصرفت إلى حيث جهاز الهاتف لتحادث نوال صديقتها الحميمة . . . نورا . . . ألو . . مرحباً . . فيصل شقيق نوال . . أهلاً نورا ألم تذهبي إلى المدرسة لعلك بخير، أأنت مريضة ؟ نورا : بكل رقة ضحكت وقالت : أبداً فقط سهرة البارحة أرهقتني قليلاً . . .

« نعم هنا اتضح سر نورا وغيابها عن المدرسة وشرودها أحياناً . . . لقد كانت على علاقة بفيصل شقيق نوال . . . »

فيصل . . . نورا هل أطلب من نوال عند حضورها الاتصال بك . . . نورا بعد إذنك طبعاً . . . فيصل . . حسناً . لكني سأنتظر سماع صوتك هذا المساء . . نوراسيكون إن شاء الله . . . وداعاً . دقت الساعة الثانية بعد الظهر لتعود والدة أحمد من السوق بفرحة طفل وغرور شابة دخلت لتجد نورا أمامها تقرأ كتاباً ما . . أم أحمد . . مرحباً نورا عدت اليوم سريعاً . . وواصلت المسير إلى غرفتها بسرعة. . . لحظتها ابتسمت نورا ولسان حالها يقول وهل ذهبت للمدرسة لأكون عدت سريعاً . . . حضر أحمد ألقى التحية على نورا وجلس إلى جوارها وتجاذبا أطراف الحديث وكم تمنى الشقيقان مثل هذه اللحظة . . .

دخلت ريم يركض وراءها ثامر بكل فرح الطفولة وسعادة الأطفال ألقيا التحية على نورا وأحمد وصعدا إلى الطابق الأعلى ذهب ثامر إلى غرفة والديه . . وهو يصرخ . . ماما . . . ماما . حصلت على شهادة تفوق في الرسم وحصلت لوحتي على الجائزة الأولى بين لوحات زملائي . . . يريد أن يخبر والدته أملاً منه أن يجد

منها قبلة تهنئة على هذا . . . نظرت إليه والدته وقالت مابك . . . أخبر ها والكلمات تتسابق على لسانه.ماما : حصلت على شهادة تفوق . . . أم أحمد . . . حسناً أذهب الآن وأبدل ملابس المدرسة . . خرج ثامر محبطاً حزينا واتجه إلى غرفته مزق شهادته وألقاها على الأرض ثم ارتمى على سريره والدموع ملء عينيه الصغيرتين وتلقاه فراشه بدلاً من أحضان أمه . . لحقت به ريم لتسأله . . طفل يسأل طفلاً ما يبكيه . . لكن النوم سبقها إليه . . لقد نام وأنفاسه تتصاعد كطائر حزين . . . بعد قليل نزل الوالد رحب به الأبناء والتفوا حول طاولة الغداء . . . استأذنت نورا تذهب لتنادي على والدتها . . . وعندما دخلت نورا إلى غرفة الوالدة وجدتها كطفل تدور حول نفسها أمام المرآة فرحاً بفستانها الذي اشترته اليوم . . . عرفت نورا سبب فرح أمها إنه فستان لن يرتدي الليلة في الحفلة أحد أفضل منه . . . نورا : ننتظرك على الغداء . . . الأم : ما رأيك يانورا إنه رائع وأبدو جميلة . . . نورا تبتسم وقالت يبدو كذلك ثم انصرفت إلى غدائها حيث بقية الأهل . . . وفي أثناء تناول الطعام دق جرس الهاتف . . . ليلى : سيدي أبا أحمد المكتب يريد حضورك . . . أبو أحمد : حسناً . . خرج الوالد . . وأحمد كعادته اتجه إلى غرفته « بل قبره الدائم الذي يدفن فيه سره الكبير » أما ريم فلن تتخلى عن اللعب اتجهت إلى الحديقة . . . وذهبت نورا إلى والدتها تستأذنها في الذهاب إلى نوال عصراليوم . . . نورا : والدتي لقد وعدت نوال بالحضور إليها تمام الخامسة عصراً . . . أم أحمد : لا . لا . إنني بحاجة إلى السائق سأذهب إلى الكوافير ألا تعلمين بأهمية حفل هذا المساء . . ؟ ! . . . نورا . . إذاً سأطلب من نوال إرسال السائق الخاص بهم ليأخذني إليهم . . . أم أحمد : ما دام الآن كذلك فافعلي ماشئت . . . كان هذا هو جو الأسرة دوماً فراق وغياب . . . يندهش الأب عند وجود الأم في المنزل ويفاجأ الأبناء بأن الوالد موجود هذا النهار . . . انشغل الأب بجمع المال . . . والأم بأتفة الأمور . . . وفي أحد الأيام تمام الرابعة عصراً كان والد أحمد في مهمة عمل خارج المدينة منذ أيام . أما الوالدة كعادتها إما في السوق أوعند إحدى الكوافيرات أو عند الأقارب . . . كانت ليلى في صالون الفيلا فجأة دخلت نورا وهي تبكي ، بشدة ترجف وتبحث عن ملجأ يحميها احتضنتها ليلى بكل لطف وحنان الأمومة قالت : مابك يا نورا لكن بكاء نورا حال دون الإجابة . . . مجرد كلمات تتبعثر خارجة من فمها إنه الذئب الذئب . . . فقط ؟! اتضح لليلى أن

نورا كانت في منزل صديقتها نوال لكن في غياب نوال وأسرتها عن المنزل ولم تجد نورا سوى فيصل صديقها وشقيق صديقتها . . . كانت ريم تنظر إلى نورا وهي في أعلى السلم عندما سقطت نورا على الأرض مغشياً عليها . . صرخت . . نورا . . نورا . . مابك ماذا أفعل يا ليلى ؟ وما كان من ريم إلا أن اسرعت الخطى إلى الهاتف لتطلب الإسعاف ضغطت على الأرقام وهي ترتعش وبعد عشر دقائق فقط كانت نورا على السرير الأبيض في المستشفى . . طلت ريم تنتظر عودة ليلى من المستشفى، وعند عودتها كان ثامر يجلس مع ريم . . صرخا كيف حال نورا . . ليلى : الحمد لله بإذن الله تكون بخير قالت ريم . . قد تكون والدتي عند خالتي سأطلبها بالهاتف . . اتصلت ريم لكن إجابتها الخادمة بأن أم أحمد والخالة خرجتا قبل ساعة ولم تعودا . . ما كان أمام ليلى وثامر وريم سوى الانتظار . . جرس الهاتف يدق بعد ساعة ونصف من الانتظار إنه أحد ضباط الأمن قال لليلى لو سمحت نريد والد أحمد . . . ليلى . عذراً ليس هنا إنه مسافر . . الضابط . . إذاً نريد أحداً يحضر إلى مركز مكافحة المخدرات لقد قبض على أحمد عند أحد مروجي المخدرات . وبهذا اتضح سر هدوء أحمد وتهربه من الجو العائلي . صرخت ليلى ، وبكت ريم بشدة ما عساي أن أفعل أما ثامر فقد اغتال الخبر طفولته فأسرع إلى غرفته وهرب من الدنيا يحمل ريشة رسمه وأخذ يرسم ويرسم . . تمام الساعة التاسعة مساءً عادت أم أحمد لتجد ريم في انتظارها في الحديقة . . . الأم مرحباً ريم لماذا أنت هنا . . . ريم . . أني أريد التحدث إليك . . أم أحمد . . . دعي هذا الحديث إلى غد إني متعبة وأريد أن أنام . . ريم . . بصوت عال . . الموضوع لايحتمل نورا في المستشفى . . صرخت الأم ببركان الأمومة أنفجر بداخلها وقت أحاسيس الأم الصادقة من جديد . . نورا مابها كيف حدث؟ ومتى ؟ قاطعت نورا استفساراتها وقالت : كل الذي عرفته ليلى من نورا أنها كانت في منزل صديقتها نوال لكن في غياب نوال وعائلتها وكذلك أحمد يا أمي . . ارتعشت أناملها وخرجت كلماتها مرتجفة مابه أحمد ياريم تكلمي . . ريم لقد قبض عليه رجال مكافحة المخدرات اليوم . . الأم . . بكاء لماذا يا أحمد نحن لم نقصر معك لماذا فعلت بنا هذا . . . إنه سؤال يحتاج إلى إجابة طويلة جداً ليست هذه اللحظة وقتها . . أسرعت أم أحمد إلى الهاتف رفعت السماعة لتتصل بمكتب شركة أبى أحمد - يوسف أمين المكتب مرحبا . . نعم . . أم أحمد . . يوسف أنا أم أحمد

أرجو منك أن تبحث في أي فندق يقيم والد أحمد وتخبره بضرورة الاتصال بالمنزل للأهمية . . يوسف . . حاضر . . وما هي إلا ربع ساعة ودق الهاتف في الفيلا وقبل أن يكمل رنته الأولى رفعته أم أحمد . نعم . . والد أحمد . . مرحباً يا أم أحمد . . خيراً . . ماذا بكم لأول مرة تطلبوني على الهاتف . . أم أحمد : لابد من حضورك في الحال وعلى أول طائرة نريدك هنا قبل الفجر . . أبو أحمد : مستحيل لايمكن ، يوم غد يتم توقيعي على الصفقة التي طال حلمي بها أم أحمد : هناك ما هو أهم . . ! ! أبناؤك والد أحمد . . ماذا . . أبنائي لقد تحركت مكامن الأبوة بداخله جعلته يصرخ ما بهم حدث لأحد مكروه . . أم أحمد : فقط نريد حضورك وستعلم بكل شيء . والد أحمد : سوف أحضر بأسرع ما يمكن . . وتمام السادسة صباح اليوم التالي حضر والد أحمد . وفهم من أم أحمد الحكاية المؤلمة . . اتجه إلى مركز مكافحة المخدرات ليرى ابنه الأكبر وسنده مكبلاً بالحديد وكأنه من عتاة المجرمين . . . إنه مجرم ولكن على نفسه . نظر إليه والده وقال لماذا يا أحمد فعلت بي . . هذا السؤال نفسه الذي سألته أم أحمد ليلة البارحة . . لكن من يجيب . . ؟ إسأله الضابط ابنك مدمن منذ ثلاث سنوات ولم تحاول معالجته . . صعق الأب غير معقول . . ثلاث سنوات لا أصدق خرج والد أحمد يجر خطاه علها توصله إلى المستشفى ليرى ابنته نورا . . عندما وصل لم يسمح له الطبيب برؤيتها إنها في حالة سيئة نرجو لها الشفاء سأل الأب عنها . قال الطبيب بأسف إنها مصابة بصدمة عصبية شديدة . . عاد الأب إلى البيت وعيناه تدمعان يحمل معه العار والفضيحة وضياع الأبناء . . يا أبا أحمد خبرني ماذا وجدت سقطت دموعه لقد أنتهى كل شيء أحمد لن نره إلا بعد خمس سنوات أما نورا فلا نريد أن نراها بعد الآن وبعد فعلتها . . . وفجأة دخلت ريم عليهم وهي تصرخ ثامر ثامر أدركو ثامر . . أسرع الجميع إلى غرفة ثامر وكل يحمل جرحه ودموعه بداخل جوفه التفوا حول سرير ثامر مابه ياترى . . . ؟ ! !

إنه شاحب اللون ذابل العينين جاف الشفة . . يرتجف . . نظر إليه والده ما بك يا ثامر لكن ثامر لم يرد احتضنته أمه . . . ما بك يا حبيبي رد علي . أرجوك وضع والد أحمد يديه على رأسه وقال : ماذا حدث لأبنائي وفلذات كبدي ، لماذا فعلوا بنا كل هذا إن قلبي يتمزق ويعتصره الألم . . . لحظتها تحرك ثامر مشيراً إلى لوحته التي

مكث طوال الليل يرسمها . . نظر الجميع إليها . الأم الأب . ريم . ليلى . إنها عبارة عن أربع أزهار قد ذبلت وتيبست دليلاً على عدم وجود الماء والهواء حولها . . أكمل حاول تفسير مغزى هذا الطفل من لوحته . . لكن قطع ثامر عليهم التفكير عندما شهق شهقة أعلن نهاية أيامه . . . صرخ الجميع ثامر . ثامر . دون جدوى لقد ذهب ولن يعود . لكنه جسد في لوحته الجواب الذي أرادته أم أحمد البارحة وأراده والد أحمد اليوم . لماذا فعل الأبناء هذا . . ؟ ؟

نعم إن الأم والأب هم الماء والهواء للأزهار الأربعة التي هي الأبناء هكذا انطقت لوحة ثامر ماذا ينفع المال والفراغ إن غاب العقل كذلك ماذا سيفعل الأبناء إن غاب الآباء . . . ذهب كل شيء وانتهى ولم يبق سوى الألم . . .

# بداية حياة جديدة

يحيى محمد آل مساعد القحطاني

الحمد لله تحسنت حالته كثيراً . . . أفقت على هذه الكلمات من الطبيب الذي يعالج ابني وتنفست الصعداء بعد رحلة علاج استمرت ثلاثة أشهر كاملة عشتها على أعصابي وتذكرت يوم اكتشافي الهاوية التي وقع فيها ابني .

« كان يوماً حاراً ، كنت نائماً في فترة الظهيرة بعد يوم عمل شاق استغرقت في النوم تماماً لأستيقظ على صوت يصدر من غرفة نومي ولأجد أمامي ولدي الوحيد . . فلذة كبدي يحمل حافظتي التي أحمل فيها النقود ويخرج متسللاً من الغرفة صحت من هول ما رأيت . . . »

ولدي الوحيد يسرقني أهذه حقيقة أم خيال ؟ أهو حلم ؟ نعم فأنا ما زلت نائماً ، بل هي الحقيقة أسرعت إلى ولدي لأتأكد منه أنني مستيقظ وأنه ولدي وليس شخصاً آخر .

وإذا بي أجده في حالة غريبة فوجهه شاحب وجسده يرتعش وكأن شيئاً غريباً قد حدث له . وتملكني الرعب ونسيت الحافظة وأحتضنت ولدي وسألته ماذا بك . . ؟ ماذا دهاك . . . ؟ لأجده أمامي وكأنه طفل صغير يبكي أمامي ويتوسل إلى أن أعطيه نقوداً وإنه لن يمس الحافظة فسألته ولماذا أعطيك النقود وأنت لا ينقصك شيء ؟ فأخبرني ويالهول المفاجاءة إنه يحتاج نقوداً لكي يأخذ المخدر . دارت بي الدنيا عند سماعي لهذه الكلمات وتمنيت الموت لأول مرة ، مخدر ؟ . . . أيتناول ولدي الوحيد المخدرات . . . رباه ماذا فعلت في حياتي ليكون هذا عقابي ؟ ابني أنا مدمن مثل هؤلاء الشباب الذين أسمع عنهم وأشفق عليهم وعلى أسرهم من هذه المحنة ؟ أفقت من ذهولي على صوت ولدي أحمد يستغيث ( أبي أرجوك أريد المخدر وأفعل بي ما تريد أنقذني أرجوك إني أموت من الألم ) ضربته بما فيه الكفاية حتى فقد وعيه أسرعت إلى الهاتف استدعي الطبيب الذي يسكن في الجوار وجاء في

الحال ليعطي ابني مهدئاً ويخبرني أنه وصل مرحلة خطيرة من الإدمان ولابد من الإسراع بعلاجه وإلا فمن الممكن أن أفقده .

أسرعت بنقل ولدي إلى المستشفى بمساعدة الطبيب وبدأت رحلة العلاج وكم عاني كلانا في هذه الرحلة الطويلة ، وبعد مضي ثلاثة شهور كاملة أخبرني الطبيب أنه يستطيع مغادرة المستشفى جلست وأنا أفكر وأتأمل ملامح ابني النائم .

لماذا ؟ المخدر ؟ ابني يصل إلى هذا المستوى وهو الذي كان طالباً متفوقاً . كنت قد انفصلت عن أمه منذ سنين إثر خلافاتنا المستمرة وقررت أن أعوض فشلي في الزواج بنجاحي في العمل وبالفعل بدأت العمل حتى وصلت إلى مركز مرموق نسيت معه كل شيء إلا الحفاظ على هذا المنصب نسيت أنني أب لشاب في سن خطرة يحتاجني فيها بشدة . كنت أخرج للعمل قبل استيقاظه وأعود وهو في المدرسة ولا أقابله إلا عند استيقاظي في الظهيرة ليخبرني أنه ذاهب ليذاكر مع زملائه . كنت دائما أصدقه اشتريت له سيارة أعطيته كل ما يريد دون أن أسأله في مرة أين يذهب؟ أو ماذا يفعل بالنفود التي أعطيها له أو من هم أصدقاؤه ؟ كنت أريد تعويض حرمانه من أمه ومني طوال الوقت وأعتقدت أن هذه الأشياء كافية لتشعره بالسعادة ولكني نسيت أن هناك أشياء أخرى يحتاجها . . نسيت أنه يحتاجني يحتاج حناني واهتمامي يحتاج الأبوة التي افتقدها لسنوات عديدة ، كرهت نفسي وعملي ، لعن الله هذا العمل الذي أنساني ابني وحياتي .

لن أترك ابني بعد الآن وسأهبه كل الوقت سأكون صديقه سأكون أمه وأخاه وكل شيء وهو يستحق ذلك ، سأعوضه حنان الأم التي تركته ، نعم يستحق كل ذلك أنه وحيدي ورفيقي منذ اللحظة ، هكذا كنت أفكر عندما انتبهت على صوت ولدي وهو يناديني أسرعت إليه احتضنه بشدة ودموعي تنهمر على شعره وهو يردد .

أحبك يا أبي . . لاتتركني مرة ثانية . . أحبك يا أبي . .

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى العمل وفي يدي خطاب أطلب فيه إجازة طويلة لكي أتفرغ لابني وصوته يرن في ذاكرتي .

أحبك يا أبي . . لاتتركني مرة ثانية . . أحبك يا أبي ! ، ، ،

# استراحة بيادر

# في رياض الأدب

إعداد : د . إبراهيم راشد

## ١ - استهلال :

عن عِمْرانَ بن الحُصَيْن ، رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، علَّم أباه حُصَيْناً كلمتين يدعو بهما : « اللهم ألهمني رُشْدي ، وأعذْني من شَرِّ نَفْسي» رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

## ٢ - مَثَلٌ في تذوّق الشعر القديم :

العلاّمة الشيخ محمود محمد شاكر ، كتب - في تقديمه كتاب « الظاهرة القرآنية » لمالك بن نبي - يصف ما انتهى إليه بعد طول المدارسة وإمعان النظر في الشعر الجاهلي من إحساس بهذا الشعر وبأصحابه ، قال :

« . . . . فأصحابه الذين درجوا وتبدّدتْ في الثرى أعيانُهم رأيتُهم في هذا الشعر أحياء يغدون ويروحون ، رأيتُ شابَّهم ينزو به جهله ، وشيخَهم تدلف به حكمته ، ورأيتُ راضيهم يستنير وجهه حتى يشرق ، وغاضبَهم تربّد سحنتُه حتى تُظْلم ، ورأيت الرجلَ وصديقَه ، والرجل وَصاحبتَه ، والرجلَ الطريدَ ليس معه أحد، ورأيت الفارسَ على جواده ، والعاديَ على رجليْه ، ورأيتُ الجماعات في مبداهم ومحضرهم ، فسمعتُ أنينَ باكيهم وهم للفراق مزمعون . كل ذلك رأيتُه وسمعته من خلال ألفاظ هذا الشعر ، حتى سمعتُ في لفظ الشعر همسَ الهامس ، وبُحّة المستكين ، وزفرة الواجد ، وصرخة الفَزِع ، وحتى مثلوا بشعرهم نَصب عينيّ، كأني لم أفقدْهم طرفة عين ، ولم أفقدْ منازلهم ومعاهدهم ، ولم تغبْ عني مذاهبهم في الأرض ، ولا مما أحسوا ووجدوا ، ولا مما سمعوا وأدركوا ، ولا مما قاسوا وعانوا ، ولا خفي عني شيء مما يكون به الحي حياً في هذه الأرض التي بقيتْ في التاريخ معروفة باسم « جزيرة العرب » .

## ٣ - من بارع التصوير في الشعر العربي القديم :

أ - قال جران العَوْد النميري يصف ذهوله وما أصابه من دَهَش وتحير يوم رحيل أحبّته :

يوم ارتحلْتُ برحلي قبل بَرْذَعتي ... والعقْلُ مُتَّلَهٌ ، والقلبُ مَشْغُولُ

ثم انصرفْتُ إلى نِضْوي لأبعثَه ... إثْرَ الحمولِ الغوادي وهو مَعْقُولُ (*)

قال الخالديّان عن البيتين : « لايكون في الطيش والدهش وشغل القلب بالبين مثله ؛ لأنه ذكر أنه جعل رحله على جمله قبل برذعته ، ثم ركبه وأثاره وبعثه في السير وهو لايعلم أنه معقول دهشاً لما ناله من فراق من يحبّ » .

ب - وقال ذو الرمة يصور ذهوله وقد زار ديار المحبوبة بعد رحيلها :

عشيَّةَ مالي حيلةٌ غير أنني ... بلَقْط الحصى والخطِّ في الترب مُولَعُ

أخطّ وأمحو الخطَّ ، ثم أعيده ... بكَفِّيَ والغربانُ في الدار وُقَّعُ

جـ - وقال طريح بن إسماعيل الثقفي - وقد وقف على أطلال أحبته ، فأنكرت العين معالمها وأدرك القلب أنها آثار الأحبة :

تَستخبرُ الدِّمَنَ القِفارَ ولم تكُنْ ... لتردَّ أخباراً على مُسْتَخْبِرِ

فوقفْتَ تعجبُ بين قلبٍ عارفٍ ... مَغْنَى أحبَّتِه ، وطرفٍ مُنْكِرِ

## ٤ - ومن بارع التصوير في النثر العربي :

نص يصوِّر معنى الحرمان ، من كتاب « الفصول والغايات » لأبي العلاء المعري . وهذا الكتاب - كما قيل بحق - « نص أدبي من طراز خاص ، طراز الذكر والتذكير بأسلوب بلغت البراعة بصاحبه أن يضمنه تصوير النفس الإنسانية ، وتصوير ما يحيط بها ، كما ضمّنه إشارات العلوم والمعارف على سبيل الذكر المجرّد حينا ، واتخاذها مادة للتصوير الفني حيناً آخر » - قال أبو العلاء :

* ( ارتحل البعيرَ : جعل عليه الرَّحلَ ، والبرذعة : الحلْسُ الذي يلْقى تحت الرحل ، والمتله : الذاهل المتحيرّ ، والنضو : الهزيل - عني بعيره )

« . . . إنما أنا كرجل بُليَ بالصدى ، لايجد وردًا ولا مَوْردا ، فهو ظمآنُ أبدا . إن ورد غَروفا ، وجده مضْفُوفا ، وإن صادف نَزُوعا ، أعوزتْه الآلةُ والمعين . فبينا هو كذلك هجم على رجل ينزع بغرب ، فشكا إليه فرْطَ الكرب ، فقال : رِيُّكَ إن شاء الله قريب ، فأعني على انتزاع المروية . فلما كان الغَرْبُ بحيثُ يريان ، غَدَرت الوَذَمُ ، وخَانَ العنَاجُ » (*) .

## ٥ - مَثَلٌ من عبقرية أبي العلاء :

من طريف ما قام به المعريّ ، إحصاء أوزان المتنبي وقوافيه ، وذلك مالم ينهض به أحد قبل أبي العلاء ولابعده ، على الرغم من كثرة الدارسين للمتنبي قديما وحديثاً .

وقد حفظت لنا الأيام نصّ أبي العلاء في ذلك ، وحققه الدكتور السعيد السيد عبادة ( ونشر بمجلة كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - السنة الأولى - العدد الأول ١٤٠١هـ/ ١٤٠٢هـ ) وذكر الدكتور عبادة في تقديمه للنص أنه يتضمّن مايلي :

١ - إحصاء الأوزان التي استعملها المتنبي والتي لم يستعملها بعددها وأسمائها .

٢ - إحصاء الضروب التي استعملها من كل وزن بأمثلتها .

٣ - إحصاء الزحافات والعلل في كل ضرب بأمثلتها مع إبداء الرأي فيها .

٤ - إحصاء القوافي التي استعملها بأمثلتها مع بيان لوازمها .

فهذا دليل على عبقرية أبي العلاء ، وتمكنه ، وتحققه بعلوم العربية ومنها العروض والقوافي .

وليس هذا هو الإحصاء الوحيد الذي قام به أبو العلاء ، فقد نقل التبريزي في

(*) الصدى : العطش ، الورد : النصيب من الماء ، والموْرد : موضع الورود ، الغَروف : البئر التي يُغْتَرف منها باليد ، المضفوف : الذي قد كثر وارده ، النزوع : البئر التي ينتزع منها الماء أي يُمْتَحُ ، الغَرْب : الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور ، الوَذَم : عُرى الدلو ، العناج : يقال إنه الحبل الذي يُشَدّ على العَرَاقي، وهي خشبُ الدّلْوِ ، ويقال ، إنه حبل يُشَدَ من تحت الدلو إلى العراقي ليقويها .

شرح ديوان الحماسة عن أبي العلاء ماقام به من إحصاء ما اشتملت عليه قطع الحماسة التي تخيرها أبو تمام من أجناس الشعر الخمسة عشر التي ذكرها الخليل ، وما فاته منها ، وذكر الضروب ، والقوافي ، والأوزان الشاذة .

بل إن أبا العلاء - في مقدمته للزوميات - نجده كأنما أحصى حروف الروى في دواوين فحول العربية ، فتراه يقول : " ماروي من شعر امرئ القيس لانعلم فيه شيئاً على الطاء والظاء ولا الشين ولا الخاء ، وكذلك ديوان النابغة ليس فيه روي بني على الصاد ولا الضاد ، وأبو عبادة ( يعني : البحتري) لا أعلم فيما روي له شيئاً على الخاء ولا الغين ولا التاء . . . » فتأمل !

## ٦ - وبابٌ - آخر - طريف في تراثنا الشعري :

## « تصوير المشاجرات الزوجية »

من أمثلته في « المفضليات " بائية الجميح بن الطمّاح الأسدي التي أولها :

**أمست أمامةُ صمْتاً ما تكلّمُنـا　　　مجنونـةٌ أم أحسّتْ أهـلَ خَـرُّوب**

ومن طريف ما وقفت عليه من أمثلته رجز أورده أبو زيد في نوادره لرجل من كندة يقال له العذافر ، ونسبه أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب إلى سكين بن نضرة ، وذكر أنه كان عبداً لبجيلة ، وكان تزوج بصريّة فكلفتْه عيش الحضر ، فلم يقدر عليه ، ولم تطق مقاماً على خشونة عيشه ، فقال يحكي ذلك :

* قـالت سُلْيـمى : اشـتَـرْ لنا سَـويقـا *

وهات خـبـزِ البُـرِّ أو دَقـيـقـا

واعـجلْ بلحمٍ نَتَّـخِـذْ خُـرْ ديقَـا *

واشـتَـرْ وعـجِّلْ خـادمـاً لَبِـيـقـا *

واصْـبُغْ ثيـابي صَـبَـغًـا تحـقـيـقـا

من جـيِّـد العُـصْـفُـرِ لا تشـريقـا

* يـاسَلْمُ ، لـو كـنتُ لـذا مـطيـقـا *

---

* السَّويق : ما يجعل من الحنطة والشعير ، الخرديق : المرقة باللحم ( فارسية ) ، اللبيق : الحاذق ،

لما جَـعَلْتُ عَـيْـشَكُمْ تَرمـيـقـا *

فـارْضَي بَضَـيْحِ الرائب المـذوقـا *

وارْضَي بـحـبِّ الحـنظلِ المدقـوقـا

فَـبَـرَّقَتْ وصـفَّـقَتْ تصْـفـيـقـا *

ثـمَّ غَـدَتْ تَـلْتـحـمُ الطـريـقـا *

نحـو الأمـيـر تبـتَـغي التطليـقـا

## ٧ - في معنى الثقافة ، وتعريف المثقف :

اشتهر حديثاً أن الثقافة هي أن يعرف المرء شيئاً عن كل شيء ، وأن المثقف هو من يعرف شيئاً عن كل شيء ، ويعرف كلَّ شيئ عن شيء ، وقد رأيت بعضهم يعزو هذا التعريف إلى الكاتب الانجليزي الشهير " برنارد شو " ، فكأن هذا التصور لمعنى الثقافة والمثقف - عند كثيرين - خاص بعصرنا ، لكن وجدت أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه " الحيوان " ينقل عن أبي إسحاق النظّام ما يجعلنا نقطع بقدم هذا التصور ، وأنه يرجع في ثقافتنا إلى القرن الثاني الهجري :

نقل الجاحظ أبيات محمد بن يسير الرياشي التي يقول فيها :

أمَا لو أعِي كلَّ ما أسمعُ     وأحْفَظُ من ذاك ما أجْمَعُ

ولم أسْتَفِدْ غيرَ ما قَدْ جَمَعْتُ     لقيل : هو العالم المصقَعُ

ولكنَّ نفسي إلى كلِّ نَـوْ     عٍ من العلم تَسْمعُه تَنْزِعُ

فـلا أنـا أحْفَظُ ما قَد جَمَعْتُ     ولا أنا من جَمْعِه أشبَعُ

وأحصَرُ بالعِيِّ في مجلسي     وعلمِيَ في الكُتُبِ مُسْتَوْدَعُ

فمن يكُ في علمِه هكذا     يكنْ دهرَه القهقرى يرجع

إذا لم تكن حافظاً واعياً     فجمْعُك للكتبِ لا ينفع

---

* يا سلْمُ: مرخَّم سَلْمَى ، الترميق : ضيق المعيشة ، وفلان مرمَّق العيش ضيِّقه .

* الضَّيحْ : اللبن الرقيق من كثرة الماء ، المذق : الخلط ، برّقت : أي عينها ، تلتحم الطريق : تسدّه بكثرة الناس عليها من صياحها وشرِّها.

ثم نقل تعليق أبي إسحاق عليها ؛ إذ قال :

« كلّف ابن يسير الكتبَ ما ليس عليها . إن الكتب لا تحيي الموتى ، ولا تحوِّل الأحمق عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ، ولكنَّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قَبُول ، فالكتب تَشْحَذُ وتَفْتقُ ، وتُرهف وتشفي . ومن أراد أن يعلمَ كل شيء فينبغي لأهله أن يداووه ؛ فإن ذلك إنما تصور له بشيء اعتراه ، فمن كان ذكيّاً حافظاً **فليقصد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء** ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدعُ أن يمرّ على سمعه ، وعلى بصره ، وعلى ذهنه ما قَدَرَ عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، **ويكون غيرَ غفلٍ من سائر ما يجري فيه الناس، ويخوضون فيه** . . . . »

## ٨ مسائل النَّوْكَى :

والنَّوْكى جمع أنْوَك ، والأنْوَك : الأحمق ، والنُّوكُ بالضم - ويفتح أيضاً : الحمق . قال قيس بن الخطيم :

وداءُ الجسم مُلْتَمسٌ شفاءً ... وداءُ النوك ليس له دَوَاءُ

ومسائل النوْكى - أي أسئلتهم - بلية ابتُليَ بها العلماءُ قديماً وحديثا .

### وهذه طرائف من مسائل النوكى :

أ - حدث أبو عمر الزاهد ، عن ثعلب ، قال : كان يحضر مجلس الزبير بن بكار رجل من بني هاشم له رُوَاء وهيئة ، حسن الثوب ، طيب الرائحة ، وكان الزبير يكرمه ويرفع مجلسه ، فقال يوماً للزبير : « الفَرَزْدَمُ ( كذا بالميم ) كان جاهلياً أو تميميا ؟ » فولاّه الزبير ظهره ، وقال : اللهم اردد على قريش أخطارها .

ب - وأبو العباس ثعلب نفسه كان يوماً في مجلسه ، فقال له رجل : يا سيدي ، ما البعجدة ؟ قال : لا أعرفها في كلام العرب ، فقال الرجل : فإني وجدتها في شعر عبد الصَّمد بن المعذّل ، حيث يقول :

**أعاذلتي أقصري ... أبعْ جِدّتي بالمِنَنْ**

فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً ، وقال : يا قومُ ، أجيدوا أُذُنَيْه عَرْكاً ، أو يحلف أنه لا يرجع يحضر حَلْقَتي . قال راوي الخبر : ففعلنا .

جـ - وأبو عبيدة معمر بن المثنى اجتمع عليه يوماً ثلاثة من هذا الطراز ، أخرجوه عن طَوْره ؛ ذلك أن رجلاً سأله في مجلسه : رحمك الله - أبا عبيدة - ما العَنْجيد ؟ قال : رحمك الله ، ما أعرف هذا . قال : سبحان الله ، أين يُذْهبُ بك عن قول الأعشى :

**يوم تُبْدي لنا قُتيلةُ عن جِيـ ـدٍ تليعٍ يزينُه الأطواق ؟**

فقال أبو عبيدة : عافاك الله - عن : حرف جاء لمعنى ، والجيد : العنق . ثم قام آخر في المجلس ، فقال : أبا عبيدة - رحمك الله - ما الأوْدَع ؟ قال : عافاك الله - ما أعرفه قال : سبحان الله ، أين أنت عن قول العرب : زاحمْ بعَوْد أودَعْ؟ فقال : ويحك ، هاتان كلمتان ، والمعنى : أو اترك ، أو ذَر ، ثم استغفر الله وجعل يدرس فقام رجل فقال : رحمك الله - أخبرني عن «كوفَا» ، أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ قال : قد رويْتُ أنسابَ الجميع وأسماءَهم ، ولست أعرفُ فيهمْ كوفَا .

قال : فأين أنت عن قوله تعالى : « والهَدْيَ مَعْكُوفَا » ؟

قالوا : فأخذ أبو عبيدة نَعْلَيْه ، واشتدَّ ساعيا في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته : من أين حُشِرَتْ البهائم عليَّ اليوم ؟

## ٩ - « ما ينفع الكبد مضرّ بالطِّحال »

مثلٌ ذكره ضياء الدين بن الأثير في معرض ذمِّ الدنيا ، قال :

« أنكاد الدنيا مشوبة بالأشياء التي جبلت النفوس على حبِّها ، وكل ما تستلذّه الأبدان من مأكلها فإنه يضرّها من جهة طبها . . . وأعجب من ذلك أنه لا ينتفع الإنسان بشيء من لذاتها إلا ضَرّه من جهة ثوابه ، وهو كالذي ينتفع باصطلاء النار وهي محرقة لأثوابه ، وقد ضرب لذلك مثل من الأمثال ، وقيل : إن كل ما ينفع الكبد مضر بالطحال» .

## ١٠ - « الكلمة الحكمة ضالّة المؤمن »

كتب وليم هنري تشاننج ( ١٧٨٠ - ١٨٤٢م) - وهو قسّ بروتستانتي أمريكي . أسّس فرقة دينية تنكر القول بالتثليث - يفسر معنى « السعادة » ، قال :

« السعادة : هى أن تعيش قانعاً بالقليل ، وأن تجعل بغيتك الأناقة لا الترف ، ورقة الشمائل لا العرف الذي تواضع الناس عليه ؛ وأن تكون جليلاً في نفسك لا موقّراً عند الناس ؛ وأن تكون ميسور الحال لامن أهل الثراء ؛ وأن تكون دؤوباً على الدرس ، هادئ التفكير ، حلو الحديث ، صريحاً فيما تأتي وما تذر ؛ وأن تفتح قلبك لما تحدثك به النجوم ، والطيور ، والأطفال ، والحكماء ؛ وأن تصبر على ما تلقاه بشوشاً شجاعاً ، متريثاً أحيانا ، غير متعجل أبداً .

وقصارى القول ، هو أن تفسح للمعاني السامية حتى تكشف عن نفسها » .

## ١١ - رجال العمل ورجال القول :

لم يكن قاسم أمين صاحب بيان ، أوأسلوب مشرق كالزيات أو الرافعي ، ولكني وجدت له قطعة جيدة في كتابه ( كلمات) وصف فيها مشهداً رآه بعينه ، واستخلص منه عبرة جيدة . قال :

« قبيل الغروب ، وقف بنا ( وابور النيل ) الذي كان يحملنا بجانب ( غيط مزروع) ، وكان يشتغل فيه رجلان لمح أحدهما ثعباناً غليظاً قصيراً ففرّ وهوً يصيح : ثعبان ، ثعبان . أما الآخر ، فتقدم إليه حاملاً فأسه ، وضربه بها عدة ضربات حتى قضى عليه ، ثم تركه في مكانه ، وأخذ سلاحه ، وعاد إلى عمله ولم يتكلم في أثناء ذلك بكلمة ، وحينئذ تحرّك زميله ، ومشى محترساً على أطراف قدميه شاخصاً إلى الحيوان واقترب منه بطيئا بطيئا ، ولمّا وصل إليه لمسه بطرف الفأس التي كانت في يده وقلّبه مرة ، ثم مرة أخرى ، حتى إذا تحقق أنه مات طعنه بالفأس طعنة قوية - ثم إنه أمسكه من ذنبه ، وصعد به إلى الجسر ، وكان في هذه الساعة عامراً بالمارّة فاستوقف الأطفال والنساء والرجال وصار يقصّ الواقعة عليهم قائلاً : « هجم علينا فقتلناه ! " - وفي آخر الرواية يلقي الثعبان على هذا الجمع فيفرقهم ، وتصيح النساء ، ويهرب الأطفال ، فيضحك هذا البطل الباسل (!) من هذا الجبن ، ومازال كذلك حتى جاء الظلام ، فانصرفوا جميعاً وهو في مقدمتهم حاملاً فريسته .

أليس هذا هو الحال دائما في جميع مظاهر الحياة الدنيا :

ترفّع من رجال العمل عن حب الظهور ، وجرأة من رجال القول على اغتصاب أعمال غيرهم ، والتبجح بها ؟! "

## ١٢ - عود إلى الشعر :

### من تجارب الشعر الحديث :

أ - قال الشاعر الدكتور عبداللطيف عبد الحليم - ناسجاً على منوال لزوميات أبي العلاء ، فلزم الباء مع الهمزة - :

| | |
|---|---|
| أعْرِفكُمْ ، مَهْلاً ، فما غَرَّني | ما أظهر القَلْبُ ، وما قد خَبَأ |
| بَسْمَتُكُمْ كالثلج ، خَدَّاعةٌ | إذا عَلَتْهُ الشمسُ في المرتبأ |
| صحبتموني زَمَناً ليتني | ما كان عندي من زمان نبأ |
| ثم تدابَرْنا ، فما سَاءَني | أنّ وِداداً زائفاً قد صَبَأ |
| غدوتُ لا آسى ولا أرتجي | سِيَّان عندي من نَبا أوعَبَأ |
| قد وبئتْ نَفْسي من قُرْبكم | عفواً إذا عِفْتُ وخيمَ الوَبَأ |

ب - وقالت شاعرة معاصرة تحت عنوان « حين تغيب » :

حين تغيب

لا أدَّعي الشمسَ تغورُ في مهاوي الريحْ

والأرضَ تَغبَر كوجه فارسٍ جريحْ

لا أدّعي الآهات ...

حين تغيب

لا أقول : تُقْفِر الأعيادْ

ولا أذوق الزادْ

وإنني أغصُّ بالشرابْ

ومضجعي شوكٌ « وكلُّ عامرٍ خرابْ»

لا أدعي جلائل الشعورْ

حين تغيب لايغيب النورْ

لكنني حين تغيب

جلستي انكسارْ

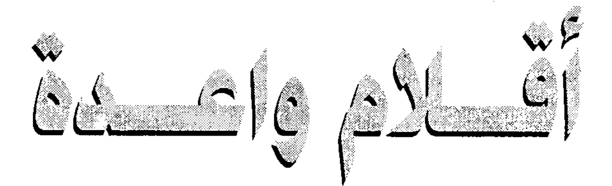
ونظرتي انتظارْ

كهفان عيناي على المرآة معتمانْ

عريهما يخدِّر الأحزانْ.

## ١٣ - مسك الختام :

عن عبد الله بن الشِّخير ، رضي الله عنه ، قال : أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ : ( ألهاكُمُ التكاثر ) قال : « يقول ابن آدمَ : مَالي ، مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليْت ، أو تصدَّقْتَ فأمضَيْتَ ؟! » رواه مسلم .


أقـــلام واعـــدة

# لله .. لا للجائزة

**خالد محمد خلاوي**

كان القائد صلاح الدين يسير بين خيام الجند حزينا قلقاً بشأن الحصار المضروب على مدينة " عكا " التي يحاصرها الصليبيون ويشتد عليها الحصار كل يوم .

نظر صلاح الدين في خيمة من الخيام فإذا فيها بعض الجنود يصلون ويبتهلون إلى الله بالدعاء وآخرون يعدون أسلحتهم فاستبشر وقال :

- من هنا يأتي النصر إن شاء الله .

ومر على خيمة أخرى ونظر فيها فإذا فيها جنود نائمون يغطون في نوم عميق وقد تركوا أسلحتهم جانباً فعاد إليه الحزن والقلق وقال :

- أخشى أن تأتينا الهزيمة من هنا .

ومضى القائد صلاح الدين وحوله بعض القادة والجنود حتى وقفوا على الحدود الفاصلة بينهم وبين العدو وأخذ القادة يطمئنونه على عكا ويؤكدون له أن هذا الحصار لن يستمر كثيراً .

وبينما هم يتكلمون دخل عليهم جندي من دمشق كان مسؤولاً عن إعداد قذائف النفط في الجيش .

قال له صلاح الدين :

- هل تريد شيئاً أيها الجندي ؟

- نعم يا سيدي . . قذائف النفط معدة فهل أبدأ في تجربتها .

- ابدأ على بركة الله . . ولكن على أي شيء نجربها

قال أحد القادة :

- أرى ياسيدي القائد أن نطلق القذائف على أبراج العدو ربما تصيبها .

وقال قائد آخر :

- إنها فكرة جيدة وأنا أيضاً أرى ذلك .

فقال صلاح الدين :

- على بركة الله اذهب أيها الجندي ونفذ ما سمعت .

- سمعا وطاعة يا سيدي القائد .

وذهب الجندي إلى القاذفة وبعد دقائق شاهد صلاح الدين وقادته قذائف النفط تتساقط على أبراج العدو فاحترقت أربعة أبراج منها وكلما سقطت قذيفة على برج وأحرقته كبر صلاح الدين ومن حوله من القادة والجنود وهللوا . . ووقف الجميع يشاهدون ألسنة اللهب وهي تشتعل في أبراج العدو .

ووسط هذا الحشد أرسل صلاح الدين إلى الجندي الذي قام بهذه العملية واصطحبه إلى خيمته وهناك قدم له جائزة كبيرة كمكافأة له على هذا العمل البطولي فرفض في إصرار وقال للقائد صلاح الدين :

- إنني لم أفعل ذلك من أجل الجائزة . . بل فعلت ذلك في سبيل الله ولاأطلب الأجر إلا منه . . .

# لغتنا العربية والمؤثرات الخارجية عليها

موسى بن سعيد القبيسي

إن للغة العربية مكانة عظيمة في نفوس جميع المسلمين فهي تربطهم بدينهم الإسلامي خير الأديان وقرآنهم الكريم كتاب الله أفضل كتاب أنزل وسنة نبيهم المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم آخر نبي بعثه الله في هذه المعمورة وكان للناس كافة ، ولهذا فاللغة العربية تحتل مكان الصدارة بين اللغات الأخرى وموقع الحب في قلوب العرب والمسلمين ، كيف لا وألسنتهم عندما تنطق بها تغشاها الحلاوة وتعلوها الطلاوة فالعقل يدرك والأذن تصغى ولا أحد يجهل ما قيل ولا ينسى ما حدث . ولكن هل استمر حال المسلمين على هذا لايتحدثون إلا الفصحى ولايتعاملون إلا مع العربية ، لا أظن ولا أعتقد فالأمر تغير والحال تبدل ولعل ما حدث يكون فيه صلاح لشأنهم وفائدة لأمرهم ، فالتغيير إلى الأصلح محبوب وإلى عكسه منبوذ والله وحده هو الذي يعلم مافيه الخير لعباده ويعلم سبحانه ما يضرهم وما ينفعهم وهو على كل شيء قدير .

لذا فإن المتغيرات التي حدثت في هذا الخصوص كثيرة ومتعددة ومن ذلك استخدام العامية في أغلب الأحوال وطغيانها علىَ الفصحى حتى ظن كثير من الناس أنها لغة وليست لهجة ، وأيضاً وجود بعض اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية التي اكتسبها وتعلمها عدد كبير من الناس أحدثت بذلك تأثيراً قوياً على اللغة العربية وكانت سبباً في ضعفها . ونحن لا ننكر أبداً أن لكل أمة وشعب لغة معينة وثقافة خاصة تحرص بشتى الوسائل على الحفاظ عليها وتحميلها لأجيال تلك الأمة وتلك الشعوب ، وفي الأثر : " من تعلم لغة قوم أمن مكرهم " .

وهذا دليل قاطع على أن تعلم أي لغة كانت في أي بلد تؤمن له السلامة وسط تلك المجتمعات وتقيه من مهاوي الردى والمكر والخديعة ولكن عندما يكون ذلك

على حساب لغته الأصلية وثقافته السابقة فإن المشكلة هنا تكمن والعلة هنا تبرز والحل لذلك يطول والعلاج لها يصعب؛ لذا فإن الحذر واجب هنا ، فعندما ينطلق المرء من قاعدة متينة وأصول ثابتة ومبادئ راسخة فلا خطر عليه إن شاء الله وأما إذا انطلق من قاعدة ضعيفة يشوبها عوامل متغيرة وأفكار متقلبة فإنه حتماً سيقع في الهاوية وينجرف في الضلالة . ومن المؤسف تماماً أن كثيراً من العرب والمسلمين الذين تعلموا لغات أخرى من اللغات العديدة التي يزخر بها هذا العالم أفرطوا كثيراً في حبها مما جعل ذلك يؤثر سلباً على لغتهم الأولى « اللغة العربية » فلم يعودوا قادرين على التعبير بها ولا بارعين في الخطابة فيها وهذا والله مؤلم بل إن بعض المختصين في اللغة العربية أصبح لديهم ميل شديد ورغبة في تعلم اللغة الإنجليزية والتعامل بها لتدل على شيء من سعة اطلاعه وثقافته اللامحدودة ، وقصر اللغة العربية داخل قاعات الدراسة و في أثناء المحاضرات وجعل العامية أسلوباً للتخاطب مع زملائه وطلابه . ومن الأخطار المحدقة باللغة العربية ما نراه يمارس يومياً من أساليب الدعاية والإعلان عبر وسائل وأجهزة الإعلام كالتلفاز والصحف وغير ذلك من الأساليب المتبعة في طريقة الإعلانات وخصوصاً الإعلانات التجارية لأن المال أصبح كل شيء في هذا الزمن ولا شيء غيره وهذه الدعايات وهذه الإعلانات تشكل خطراً كبيراً على اللغة العربية تلك اللغة الجميلة في معناها ، العظيمة في كيانها فطريقة العرض لتلك الدعايات سيئة وأسلوب الطرح لتلك الإعلانات غير مقبول ، وكم شاهدنا ورأينا وسمعنا عن أنواع عديدة من تلك الدعايات التي أثرت على أبنائنا وهم في مرحلة خطيرة جداً فهم يقبلون أي شيء ولا يميزون فيها بين الغث والثمين ولذلك فإن المعلومات التي وصلت إلى عقل الطفل واستقبلتها ذاكرته ستظل عالقة في ذهنه مستقرة في فكره لن تتغير ولن تتبدل لأن ما سيخرجه سيكون طبقاً لما اكتسبه وتعلمه ومن الصعوبة بمكان أن يكون العكس في ذلك إلا ما قل منه وما ندر بعد إدراكه وتمييزه .

ولهذا فإن على وسائل الإعلام دوراً مهماً وكبيراً في الحفاظ على سلامة اللغة العربية وعدم تشويه تلك اللغة بالطرق المستخدمة في الدعاية والإعلان ؛ لأن الأمر إذا استمر على هذا الحال ولم يتغير فسنرى ما لا يحمد عقباه ونسمع ما لا يشكر فضله وخيره وأمانة الحفاظ على اللغة العربية مطلوبة وضرورية ولكن أمر الحفاظ

يشتد حاجة وأملاً لدى تلك الوسائل عن غيرها لأن دورها عظيم وهدفها نبيل وغايتها سامية .

- ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن على دور العلم والجامعات في البلدان العربية دوراً مهماً في هذا الجانب وخصوصاً في أقسام وكليات اللغة العربية وما يلحق بها من معاهد ومراكز ومن يعمل بها من أساتذة وباحثين ودارسين لأنهم معنيّون بهذا الأمر فلا يترك للعابث يده ولا للمستهتر هواه .

- أيضاً أتمنى لو تولت المملكة العربية السعودية إقامة مجمع للغة العربية في هذا البلد الأمين لاسيما وأنها أرض الحرمين الشريفين مهبط الوحي ومنبع الرسالات وتزخر بالعديد من الأساتذة الأكاديميين والباحثين المتخصصين الذين سيولون هذا الجانب جل عنايتهم لأنهم غيورون على هذه اللغة العظيمة وقبل ذلك غيورون على دينهم الذي يرتبط بهذه اللغة ويتعلق بها .

ويا حبذا لو اهتم أساتذة اللغة العربية في مراحل التعليم العام الابتدائية والمتوسطة والثانوية بهذه المادة وركزوا انتباه الطلاب على أهمية هذه اللغة وقيمتها الحقيقية وتشجيعهم في المحافظة على أسلوب التعامل بها داخل قاعات الدراسة حتى يعتادوا على تطبيقها وممارستها بصفة مستمرة وتقديم الأبحاث المتخصصة فيها لاسيما في المرحلة الثانوية حيث يعدّ فيها معظم الطلاب متخصصين حسب رغباتهم وميولهم وحاجاتهم .

- ولقد لمسنا بعض الاهتمامات من بعض المختصين في هذا الجانب وإن كانت في الحقيقة اهتمامات قليلة ولكنها عظيمة في ظل عدم وجود اهتمامات أخرى تنافسها ففي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ممثلة في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية قامت الكلية مشكورة بتخصيص هاتف للرد على أسئلة واستفسارات الطلاب وكل من لديه حاجة يود الاستفسار أو الاستفهام عنها والرد عليهم في الحال إن وجدت الإجابة فوراً أو الإجابة عليهم في وقت آخر بعد ترك عنوان السائل لديهم ويسمى هذا الهاتف « الهاتف اللغوي» والذي يشرف عليه ويرد على استفسارات وأسئلة السائلين مختصون في قسم اللغة العربية بالكلية وهذا عمل مبارك وجهد عظيم يجب أن تشجع الكلية عليه .

ولا ننسى ما تقوم به كلية المعلمين في أبها من جهد مماثل في هذا الخصوص والذي كانت لفكرته الصدى الواسع في المنطقة وكان للكلية يد السبق والمبادرة في ذلك ولكن نتمنى أن يهتم بهذه الفكرة وتجد لها الرعاية من قبل وسائل الإعلام والدعم والمؤازرة وبالأخص التليفزيون حيث إن برنامجاً كهذا سيكون له قبول واسع وترحيب كبير من قبل المشاهدين والمهتمين بمثل هذه البرامج الثقافية التي لانزال نلمس حاجة التليفزيون السعودي إلى الكثير منها .

- وفي المقابل نرجو أن تقلل الصحف المحلية من الاهتمام بالشعر النبطي الذي أخذ حيزاً كبيراً في معظم الصحف اليومية والمجالات الاسبوعية بما لايتناسب مع دور هذه الوسائل في دعم ثقافة ولغة القارئ ، أيضاً نرجو أن تهتم جمعيات الثقافة والفنون والأندية الأدبية ومراكز الأنشطة في الجامعات والمعاهد والمدارس بثقافة المجتمع وتعزيز ذلك وفق الدور المنوط بها في ذلك وإيجاد الوسائل الكفيلة بتنمية المصادر الثقافية له طبقاً لما يجب أن يكون عليه هذا المجتمع من سعة الاطلاع والثقافة المطلوبة منه .

# أحلام قروي

**يحيى مفرح شبلي آل رقبه**

حمل أمتعته من « صالةالقدوم » ومشى بخطوات مضطربة ، ليس في المدينة أحد يعرفه أو ينتظره مع ذلك الصف البشري الذي يصطف أمامه . إنه غريب عن هذه المدينة ولكن من يعرف أنه غريب ؟ لا أحد سوى نفسه التي تحدثه بالكثير والكثير من الأسئلة الحائرة التي تبحث عن أجوبة على محيط الواقع الذي يخطو بقدميه أولى خطواته .

خرج من أحد الأبواب التي قادته خارج صالة المطار وكأنما تودعه ، وقف في انتظار سيارة أجرة تحمله إلى حيث يقضي أول ليلة من ليالي عمره بعيداً عن قريته وبيته الطيني الصغير الذي افتقد دفئه وأمانه فالبرد بزمهريره يؤنبه على ما خلفه وراءه من الأهل والأحباب ، غير أن كلمات والده الطاعن في السن تتردد في خلجات نفسه وهو ينتظر « ولدي . . الله . . الله في سمعتك وشرفك وتذكر حالنا ، فأملنا في الله ثم فيك » أمسكه سائق أجرة من يده وقال : اركب فلم يبق غير راكب واحد ، قال ناصر وأسنانه تصطك من وطأة البرد على جسمه النحيل وثيابه التي توشك على التقاعد من الخدمة : إلى أين أنت ذاهب ؟ ! . . قال صاحب السيارة الأجرة : وسط المدينة . تركب ؟! قال ناصر : معك .

أخذ ت السيارة ناصراً بين الزحام وأعمدة الإنارة التي تبدو وكأنها شمس مستعارة تلغي من فكره معنى من معاني الليل في قريته . ينظر إلى ساعته التي أهداها له خاله فيرى عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل .

وبعد برهة من الزمن قضاها في الطريق المزدحم بالسيارات وبالوجوه التي لم تألفها عيناه نزل مع من نزل من الركاب وهو كالمذهول مما يرى من العمران والسيارات التي لاتكف عن النباح !

صادف في سيره العشوائي في تلك الليلة الباردة أحد المارة الذي يبحث عن مأوى يقيه زمهرير البرد وأعين الناس التي تستغرب من طريقة لبسه وكلامه، أشار له بيده ذلك الشخص نحو أحد الأبنية التي لا تقع بعيداً عنه وأفاده بأنه « فندق» يستطيع أن يمشي إليه على أقدامه .

شكره مصافحاً بل أراد أن يقبل رأسه كعادته في القرية تقديراً لمن هو أكبر منه سناً ، ولكن ذاك لم يمهله طويلاً ، وتركه بنظرات مليئة بالتعجب والاستغراب .

دخل الفندق مسلماً على أهله الذين ردوا عليه التحية بشيء من اللهجة الدارجة والتباطؤ وبعد مشقة من التفاهم أعطي مفتاح الغرفة وقيل له إنها بالدور الثالث في الجناح ج ورقمها ٢١٧ إنها كلمات بل رموز وطلاسم لم يستطع فهمها لولا خدمة أحد عمال الفندق له وإيصاله للغرفة تلك .

ألقى بجسده المتهالك على ذلك الفراش الوثير الدافيء وتذكر أباه وأمه وإخوانه الصغار وكيف يقضون ليالي القرية الطويلة والباردة على فرش رثة قد أكل عليها الدهر وشرب في بيتهم الطيني الصغير تذكر ذلك فزاده حماساً وعزماً على أن يفي بشيء من الوعود التي أخذها على نفسه في أن يرحل إلى المدينة لعله يجد ما يحقق أحلامه وأحلام أسرته المتواضعة في بيت « مسلح» وسيارة تكفيهم عالة السؤال في قضاء حوائجهم ، ومطالبهم اليومية ، وزوجة صالحة ترعاه وترعى أهله في محبة ومودة ، كانت تلك أحلام ناصر وهو يضع رأسه على تلك الوسادة الوثيرة وهو يمني نفسه بالعودة إلى أحضان قريته الهادئة البعيدة . فهل يستطيع تحقيقها ؟

# قــراءة في كتــاب

## تاريخ التعليم في منطقة عسير

## ( ١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ / ١٩٣٤- ١٩٦٦م)

### « الجزء الأول »

عرض وتعليق د . السر سيد أحمد العراقي

**مراجعة كتاب** : " عرض وتعليق "

**الكتاب** : تاريخ التعليم في منطقة عسير ١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ ( ١٩٣٤ - ١٩٦٦ م)
(الجزء الأول)

**المؤلف** : د. غيثان بن علي بن جريس

**الناشر** : دار البلاد للطباعة والنشر بجدة : ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ( الطبعة الأولى)

**عرض وتعليق** : د . السر سيد أحمد العراقي .

الثابت أن المملكة العربية السعودية منذ فجر تأسيسها على يد المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود شجعت العلم والتعليم ، بل جعلته جزءاً لايتجزأ من سياستها الثابتة والرامية لتطور المجتمع ، بل أن الدعوة الإسلامية التي سارت جنباً إلى جنب مع تكوين الدولة ، اعطت العلماء منزلة لا تساويها منزلة ، بل أن أول مانزل من القرآن الكريم سورة يدعو الله تعالى فيها رسوله إلى القراءة والعلم : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ( سورة العلق : آية ١-٥) وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ( سورة الزمر : آية ٩) .

لذلك شجع الملك عبد العزيز وأبناؤه من بعده على التعليم وأوضحوا أهميته والضرورة منه في معظم توجهاتهم وإرشاداتهم .

إن نشأة التعليم في البلاد العربية ترجع إلى ظهور الإسلام وإلى توغل الإسلام في البلاد العربية والإسلامية . وأصبح المجتمع الإسلامي يهتم بإنشاء المدارس ، ويرسل الأطفال بنين وبنات إليها ، فيتعلمون شيئاً من القرآن الكريم ، كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية . لذلك كانت لهذه البداية نتائج بعيدة المدى ، وثبت التعليم الإسلامي في البلاد العربية والإسلامية ، وأصبح تعليم اللغة العربية مفتاحاً للعلم والمعرفة والمكانة . ولإرتباط ذلك بالإسلام الذي حث على طلب العلم انتشر التعليم بالعربية .

لذلك يمكن القول ، أنه منذ ظهور الإسلام وانتصاره ، ثم انتشاره ، " والعلم " هو الشغل الشاغل لكثير من العلماء والمدرسين الأفاضل في هذه البلاد الطيبة وغيرها . وانطلاقاً من فكرة " المسجد " كدار عبادة وعلم ، كان طلاب العلم يجدون في المساجد دور تعليم ينهلون فيها من معين العلم ، يلقيه عليهم أولئك العلماء . وكان المسجد الحرام بطبيعة الحال ، هو دار العلم الكبرى التي تأخذ الشطر الأكبر من رسالة التعليم على عاتقها ، إضافة إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة . وكان الطلبة ينتظمون في حلقات يتولى تدريس كل منها أحد العلماء .

ومنذ ذلك الحين ، باتت مكة المكرمة أحد مراكز الإشعاع العلمي الإسلامي ينشط فيها التعليم ويكثر فيها طالبو العلم من شتى أرجاء البلاد الإسلامية ، وتختلف الدروس ما بين شرح وتفسير القرآن الكريم ، والأحكام الشرعية ، والسنة النبوية المطهرة .

ثم ظهر في مكة المكرمة وفي غيرها من مدن البلاد ما يسمى " الكتاتيب " وهي حلقات للتدريس تقام في بيوت المدرسين ، وتتولى تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإملاء والخط ، وقواعد النحو والصرف ، فكانت هذه الكتاتيب هي القاعدة التي استندت عليها قاعدة التعليم وانتشاره على طول البلاد وعرضها .

ومع بداية عهد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله ، تمت أول خطوة تنظيمية لشئون التعليم حين أمر جلالته في رمضان المبارك ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) بإنشاء مديرية خاصة تتولى الإشراف على شئون العلم والتعليم في مكة المكرمة ، ثم في سائر أنحاء المملكة .

ثم تطورت شئون التعليم في المملكة ، حتى بات على ما هو عليه الآن . وقد حظيت منطقة عسير باهتمام بالغ في كافة المجالات ، منها النهضة التعليمية التي انتظمت المنطقة من أولاها إلى أقصاها . فانتشرت المدارس في كافة المراحل بنين وبنات . وكانت أول مدرسة أنشئت في عسير هي " المدرسة السعودية الإبتدائية " في أبها عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) . واليوم توجد ست إدارات للتعليم في عسير التي تتبعها إعداد كبيرة من المدارس الإبتدائية والمتوسطة ،والثانوية ، والمعاهد، وهذا بالنسبة لمدارس وزارة المعارف .

أما إدارة تعليم البنات في أبها فتتبعها هي الأخرى أعداد كبيرة من المدارس الإبتدائية والمتوسطة والثانوية ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وأخرى لتعليم الخياطة والتفصيل ، ودار حضانة وروضة أطفال .

أما فيما يتعلق بالتعليم العالي فقد أنشأت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة وأصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، كما أنشأت جامعة الملك سعود ، كلية التربية وكلية الطب ، إضافة إلى كلية التربية للبنات .

يقع كتاب " تاريخ التعليم في منطقة عسير ١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ ١٩٣٤ - ١٩٦٦م ( **الجزء الأول** ) للدكتور غيثان بن علي بن جريس الأستاذ المشارك ورئيس قسم التاريخ - جامعة الملك سعود - كلية التربية - أبها - في حوالي ٣٤٨ صفحة تقريباً - وتم تقسيم الكتاب إلى ستة فصول ، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة وقوائم الملاحق والمصادر والمراجع .

لقد استهل الباحث المقدمة بإشارة موجزة إلى أهمية العلم ومكانة العلماء في المجتمع الإسلامي ، وأشار إلى المصادر التي أوردت فضل العلم وأبرزت أهمية التعليم وازدهار النشاط العلمي والفكري والثقافي في العصور الإسلامية المختلفة ، وتأسيس مراكز العلم في كافة أنحاء العالم الإسلامي ، حتى أصبحت تلك المراكز منابت لغرس الثقافة الإسلامية في تلك البلاد وغيرها .

ويشير الباحث في مقدمته هذه أيضاً إلى منطقة عسير وخططها في مجال التعليم في تلك العصور ، حتى ظهور موحد الجزيرة العربية الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل " رحمه الله " الذي استطاع بذكائه وقوة عزيمته وصدق إيمانه

أن يوحد القبائل المتناحرة ليس في بلاد عسير فحسب ، وإنما في أغلب أجزاء شبه الجزيرة العربية حتى صارت دولة مترامية الأطراف متسعة الأرجاء تحت مسمى " المملكة العربية السعودية " .

يحاول الباحث كذلك توضيح العوامل والأسباب التي دفعته لكتابة هذا البحث الهام ، ليوضح جانب الاهتمام الكبير الذي أولته حكومة المملكة بالعلم والتعليم في منطقة عسير بعد أن عانت فيما مضى من الأهمال والنسيان - ويضيف إلى أن وفرة المصادر والمعلومات كانت من أهم العوامل التي شجعته على كتابة هذا البحث الهام والمفيد .

لقد ناقش الباحث في " **الفصل الأول** " بشكل موجز أوضاع الحياة العلمية في بلاد عسير منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قبيل ظهور الدولة السعودية الحالية ، وجاء عنوان الفصل تحت اسم " **لمحة عن أوضاع عسير العلمية قبل حكم الدولة السعودية الحالية** " . وقد استعرض في هذا الفصل طبيعة الحياة العلمية والفكرية التي كانت سائدة في منطقة عسير ، وعلاقة أهل البلاد بمن جاورهم من مراكز الثقافة وعلمائها خاصة في بلاد الحجاز واليمن ، ويبين الباحث في هذا الجانب اهتمام أهل المنطقة وسعيهم الحثيث لنهل المعرفة والعلم منذ أيام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وتبادل الوفود بين الحجاز وعسير ، حتى استطاعت بلاد عسير أن تنال قسطاً من العلم سواء من علماء اليمن أو علماء الحجاز، خاصة وأن منطقة عسير تعتبر معبراً لأهل اليمن في طريقهم إلى الحجاز أو العكس .

لقد جاء **الفصل الثاني** تحت عنوان : - **تطور المراحل التعليمية في منطقة عسير ١٣٥٤ -١٣٨٦هـ / ١٩٣٩ - ١٩٦٦م** . وفي هذا الفصل يسهب الباحث في تطور المراحل التي يمر بها التعليم في بلاد عسير خلال الفترة ١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ - ، ويشرح التوسع في هذا الجانب وفي كافة مراحله فيما يلي :

أ - التعليم في المرحلة الابتدائية .

ب - التعليم في المرحلتين المتوسطة والثانوية .

جـ - المعاهد وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام :

١ - معاهد المعلمين الإبتدائية النهارية .

٢ - معاهد المعلمين الإبتدائية الليلية .

٣ - المعاهد العلمية .

وفي هذا الفصل يتناول المؤلف التطور الكبير الذي طرأ على التعليم منذ تأسيس المملكة العربية السعودية إلى العام ١٣٨٦هـ . ويركز على النقلة الهائلة التي بدأت بإنشاء المدارس الحكومية ، وتحويل التعليم من الكتاتيب غير النظامية إلى المدارس النظامية في شتى المراحل . وفي هذا السياق يشير إلى ازدياد عدد الطلاب واهتمام الناس بالتعليم . وهناك إشارة هامة إلى عدد الدفعات المتخرجة والشهادات التي نالها هؤلاء المتخرجون . كما أشار الباحث إلى عدة مدن هامة أنشأت فيها تلك المدارس مثل أبها وخميس مشيط والنماص ومحائل ورجال ألمع . . . الخ ( وفي نهاية الفصل يرفق الباحث جداول هامة توضح أسماء المدارس وعددها وكلها تشير إلى التطور البارز والملموس الذي طرأ على النهضة التعليمية في هذه المنطقة . ( انظر ص ٦٤ إلى ص ١٠٦ ) .

**الفصل الثالث :** يعالج إنشاء الأجهزة الإدارية الخاصة بالتعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ ) :

لقد تناول الباحث في هذا الفصل بالدراسة والحديث عن الأجهزة الإدارية الخاصة بالتعليم في منطقة عسير ، وتناول حديثه بشرح موجز عن الإدارة العامة للتعليم وما يتبع لها من إدارات أخرى ، كإدارة الامتحانات ، وإدارة التفتيش الإداري والفني ، وإدارة توجيه الطلاب وإرشادهم ، والإدارة المالية .

في هذا الفصل شرح واف لعمل كل إدارة ودائرة اختصاص كل واحدة منها ، وأساليبها في العمل التربوي . ويبرز الباحث مهمة كل إدارة في وضع الخطط والبرامج والأنظمة ، وتنفيذ القرارات التعليمية والتربوية والفنية التي تصدر من مديرية المعارف ثم وزارة المعارف ، لتكون جميع تلك الخطط والأنظمة ضمن السياسة التعليمية العامة التي رسمتها الدولة ، والتي تتمشى مع المنهج الإسلامي الذي أساسه القرآن الكريم والسنة النبوية .

وهناك لمحة هامة عن العمل في إدارة الامتحانات ( الاختبارات ) وتعدد

الأساليب التي تتبع في هذا المجال سواء في مجال الاختبارات التحريرية أو الشفوية أو غير ذلك .

وقد أفرد الباحث في هذا الفصل أيضاً شرحاً هاماً لإدارة التفتيش الإداري والفني ، والأمور التي تتعلق بالمشاركة في وضع جدول المواد الدراسية وتوزيع المناهج ، وحصر إعداد المعلمين ( الزيادة أو النقصان) ثم مراجعة الكتب المقررة في المرحلتين المتوسطة والثانوية . كما أشار الباحث إلى الدورالكبير الذي توليه الإدارة المدرسية في توجيه الطلاب وإرشادهم . وختم الباحث هذا الفصل بالحديث عن الإدارة المالية والصرف على التعليم وإنشاء المدارس ومراتب المعلمين ، وأبرز المؤلف أهمية هذه الإدارة ودورها في إنجاح الخطط والبرامج التعليمية والتربوية .

**في الفصل الرابع :** - استعراض شامل لأنواع أخرى من التعليم في منطقة عسير ، جاء تفصيل ذلك فيما يلي :

أ - التعليم في المساجد .

ب - مدارس القرعاوي .

جـ - تعليم البنات .

د - محو الأمية ( تعليم الكبار ) .

هـ - المدارس الحربية .

و - الدورات التدريبية .

وقد أوضح الباحث أن هذه الأنواع تعتبر روافد أخرى من روافد التربية والتعليم، وتسير جنباً إلى جنب مع المراحل التعليمية النظامية التي سبقت الإشارة إليها . وقد أدت هذه الروافد التعليمية دوراً هاماً ، وحققت عدداً من الأهداف التربوية والتعليمية ، يمكن أن نجملها في الآتي : -

أ - غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الأطفال بنين وبنات .

ب - تنمية المهارات الأساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغوية والمهارة العددية والمهارات الحركية .

ج - توليد الرغبة لدى الطالب والطالبة في التزود من العلم والعمل الصالح وتدريبهما على الاستفادة من أوقات فراغهما .

د - إعداد التلميذ والتلميذة لما يلي المرحلة الإبتدائية من مراحل حياتهما .

تحدث الباحث **في الفصل الخامس عن** : " الأنشطة الطلابية المصاحبة للتربية والتعليم " وقد بحث المؤلف هذا الموضع في الجوانب التالية : -

أ - الأنشطة الرياضية والكشفية .

ب - الأنشطة الاجتماعية والفنية .

ج- الرعاية الصحية والعلاجية .

د - الكتب والمكتبات العامة .

لقد أبرز هذا الفصل اهتمام الدولة أيضاً بمختلف جوانب التربية الفكرية والاجتماعية والجسمانية ، هذا بالطبع بجانب عنايتها على تنمية القدرات العقلية للطلاب والطالبات وقد ظهر هذا الاهتمام - كما أشار الباحث - بعد العام ١٣٧٣هـ، وحسب الرواية التي رواها له الأستاذ محمد أحمد أنور حيث أشار بصورة واضحة إلى الاهتمام بالقيام ببعض الأنشطة المصاحبة للتعليم . وصاحب الدور الرائد في هذا المجال سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ( خادم الحرمين الشريفين حالياً ) الذي بذل جهوداً جبارة في التقدم بحركة التعليم وجميع ما يواكب ويرتقي بالطالب سواء أكان فكرياً أو اجتماعياً أو رياضياً أو غير ذلك من الأعمال والأنشطة السائدة في تطور التعليم .

وقد صاحب ذلك أيضاً الإهتمام بالرعاية الصحية والعلاجية والاهتمام والعناية بالصحافة المدرسية وتطوير المكتبات المدرسية التي تضم الكتب والبحوث النافعة والمفيدة ، وتنظيم الندوات والمحاضرات والمسابقات الدينية والثقافية - هذا بالإضافة إلى التركيز والعناية بأعمال التدبير المنزلي والتفصيل وأشغال الإبرة والنسيج ، مع التشجيع على إقامة بعض المعارض والمسابقات الخاصة بالتربية الفنية ، والاقتصاد المنزلي والخياطة .

**أما الفصل السادس** : - وهو آخر فصول هذا الكتاب فقد أفرد الباحث فيه حيزاً لتراجم وسير لبعض رواد التعليم الذين عملوا في حقل التربية والتعليم بمنطقة عسير ، وقاموا بدور هام في دفع عجلة البناء التعليمي ، وثابروا واجتهدوا في نشر العلم بهذه المنطقة وعددهم حوالي ١٥ رائداً عدا مجموعة أخرى أشارت إليها الصفحات من ٢٦٩ إلى ص ٢٨١ .

ثم تأتي خاتمة البحث في شكل نتائج توصل إليها الباحث وتوصيات يعتقد أنه من الأهمية أن ينظر إليها بعين الاعتبار ، على أساس أنها حتماً ستؤدي في النهاية إلى تحقيق الهدف الأسمى المنشود .

جاءت الحواشي عند نهاية كل فصل ، وتلى الخاتمة قوائم بملاحق هامة وكثيرة، بعدها أورد الباحث المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث ، وقد قسمها إلى وثائق ومذكرات ، وسجلات وتقارير ، هذا بالإضافة إلى ثبت المصادر والمراجع العربية والمراجع الأجنبية . وجاءت محتويات الكتاب وفهرسه بعد ذلك ، كما لم يهمل الباحث الإشارة في نهاية كتابه إلى كتبه وبحوثه المنشورة بالإضافة إلى ترجمة لحياته وسيرته الذاتية .

الكتاب في غاية الأهمية وجدير بأن يطلع عليه المعنيون بحقل التربية والتعليم ورواد النهضة التعليمية والمثقفون بصفة عامة ، والمعلمون والطلاب على وجه الخصوص . . . وقد قدم الباحث موضوعه بالوثائق والتقارير والمذكرات والسجلات والمصادر والمراجع ، كما أن اقتراحاته وحلوله والنتائج التي توصل إليها جديرة بأن تلقي القبول لدى الجهات المعنية .

وقد راعى الباحث وهو يرتب معلوماته وعرضها ، راعى في ذلك التسلسل الزمني والعرض التاريخي الموضوعي ، كما أن تقسيم الفصول قام على سمة أن خصص المؤلف لكل موضوع فصلاً منفصلاً بعيداً عن التكرار ، بحيث جاء الكتاب إضافة جيدة قد تكون الأولى من نوعها في جانب هام يستحق الدراسة والبحث المتأني ، ولكون المؤلف قد استفاد من المصادر الأولية وتحليلها في معظم فصول البحث ، إلا أن اعتماده على مصادر ثانوية في بعض النواحي اضعف إلى حد ما الجهد المبذول - مثلما جاء في الفصل الرابع الخاص " **بالأنواع الأخرى من التعليم** " ، إلا أنه سعى في ترتيب فصول الكتاب ترتيباً زمنياً منطقياً يتناسب مع الموضوع ، وهو التطور التعليمي والطفرة العظيمة التي طرأت عليه منذ عام ١٣٤٤هـ ( ١٩٢٥م) وحتى الوقت الحاضر . . وقد أفلح المؤلف في ذلك .

وكان ينبغي أن يسبق الفصل السادس الفصل الخامس ، باعتبار أن رواد التعليم، هم أصحاب جهد مقدر في البناء والتأسيس . والكتاب على ما فيه من اختصار في بعض أجزائه ، إلا أن كاتبه لا ريب يستحق التهنئة على ما بسطه من معلومات واحصاءات كثيرة لم تجمع من قبل صدوره في كتاب واحد .

اعتمد المؤلف في بحثه على مجموعة جيدة من المصادر الأساسية والوثائق غير المنشورة التي اطلع عليها ، إلى جانب دراسته الميدانية لبعض مناطق عسير ، مع الاستعانة بما دونه الرواه وشهود العيان الذين عاصروا وشاهدوا بداية نشأة التعليم في البلاد وتطوره المستمر ، إضافة إلى المدونات ، وما كان ينشر في المجلات والرسائل والمدونات ومراجع أخرى متنوعة .

وكان طبيعياً أن يمهد المؤلف في مقدمته لتلك النبذة التاريخية بوصف عام لإقليم عسير وأحواله العامة التي سبقت قيام المملكة العربية السعودية .

في ختام هذا العرض الموجز أرجو أن أسجل بعض هذه الملاحظات والتساؤلات :

١ - لم أجد تفسيراً لكلمة عسير ، وقد بحثت بدقة لعل أن أجد تفسيراً لمفهوم عسير ، هل هو مفهوم قبلي ، أم جغرافي أم إداري .

٢ - الخلفية التاريخية التي أوردها الباحث أهملت فترة الحكم التركي وإن كان للأتراك دور في تعليم أهل المنطقة ، والواضح أن الأتراك حكموا المنطقة ردحاً من الزمن ، فهل كان دورهم إيجابياً أم سلبياً .

٣ - كان لابد من توضيح دور القبائل ، شيوخها ورؤسائها بصورة أشمل في حرصهم على تعليم أبنائهم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم - هل كان ذلك موجوداً أو معدوماً قبل قيام المملكة العربية السعودية ، هل كان الشيخ أو الرئيس الذي يجمع العشر من القبائل دوره محدوداً في المساهمة بأي قدر في القضاء على محو الأمية ؟ . وما هي نسبة محو الأمية في المنطقة ؟

٤ - لم ألحظ إجراء دراسة مقارنة بين عسير والمناطق الأخرى : الإحساء - الدرعية - القصيم . . . إلخ باستثناء الحجاز ، وهي مقارنة أعتقد أنها ستكون مفيدة ، توضح أحوال تلك المناطق أيضاً في الجانب التعليمي قبل قيام المملكة العربية السعودية . . . فهل كان هناك تفاوت أم كانت الفرص متساوية في التعليم ؟

٥ - هل كانت هناك هجرات للأزهر الشريف من أبناء المنطقة لنهل العلم والمعرفة خاصة في زمن الأتراك ؟

٦ - في بعض العصور الإسلامية ، كانت هناك حركة إصلاح ديني في الجزيرة

العربية مثل حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وفي افريقيا أيضاً ، وارتبطت هذه الحركات بجهد تعليمي واسع ، وهناك مثل لذلك في بلاد أخرى مثل حضر موت وتريم . . . ألم يصل هذا الجهد إلى منطقة عسير .

٧ - حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية ، ارتبطت بالدعوة إلى الإسلام ، وواكب ذلك جهد عظيم في مجال التعليم . . . والثابت أن لذلك صدى واسعاً وعظيماً في المنطقة وإسهام مقدر بأي نوع من أنواع التعليم .

٨ - أهمية الربط بين الخصائص الجغرافية للمنطقة والخدمات بصفة عامة ، لأن نمط السكن في عسير جبلي ، وهناك قرى منعزلة وجيوب متباعدة من العمران ، وطبوغرافيا مثل هذه يصعب انتشارها بنفس الكفاءة كما في السهول والمناطق المسطحة ، ونحن على ثقة في أن الجزء الثاني من هذا الكتاب يغطي الجوانب الحية الأخرى في هذا المجال وهي بدون شك موضوع يشغل بال المؤلف ويسيطر على نشاطه الجم ، لتكون إضافة أخرى جديدة ومثمرة يتوج بها هذا الجهد الكبير . .

وبالله التوفيق

# بين بيادر وقرائها

# « دراسة حول البيئة »

## د . خليل الثقفي

كنا قد عرضنا لموضوع البيئة وأهميتها في العدد السابق من ملف بيادر وفي باب « قضية ورأي » فإننا في هذا الباب ، واستكمالاً لما سبق ، نورد مشاركة حول البيئة وتلوثها لأستاذ متخصص في علم البيئة ، ألا وهو الدكتور / **خليل الثقفي** ، عميد كلية العلوم الصحية بأبها حيث يقول :-

لايقتصر حماية البيئة وصيانتها على جهة معينة في أي مكان في العالم حيث أن علم البيئة علم يجمع بين مجمل العلوم سواء كانت نظرية أو علمية أو طبية ، ولهذا السبب فإن المقولة السائدة " كلما تقدم العلم كلما قل الشك " وإن الشك منتج طبيعي للنشاط العلمي ، " يعتبران ضدين قويين في علوم ودراسات البيئة في الوقت الحاضر ، حيث إن تطور الجدل العلمي والاتجاهات الحديثة للعلوم البيئية هو السائد ولا يستطيع أي عالم تأكيد نظرية بيئية معينة لأن البيانات التفسيرية أكثر تعقيداً مما يتصور الإنسان البسيط ، وتؤول في نهاية المطاف إلى إعتقادات اجتماعية " آراء علمية " والسبب الرئيسي لذلك هو تعدد المتغيرات المتداخلة في علوم أبحاث البيئة . وعلى ذلك المستوى العالمي والإقليمي نجد أيضاً أن هناك متغيرات وتداخل بين علماء البيئة ، ويرجع ذلك إلى تعدد التخصصات في مجال البيئة وبالتالي تداخلها في الهيئات والوزارات المختلفة ، وعلى سبيل المثال ، ففي المملكة العربية السعودية تختص وزارة الصحة بالصحة الوقائية ، وحيث الإشراف الفني فقط على صلاحية مياة الشرب والأغذية ، وعمل الأبحاث الخاصة بصحة البيئة ، وعمل التوعية الصحية دون الاهتمام بتطبيق التشريعات الخاصة بها ، مع أن وزارة الشئون البلدية والقروية تهتم بمراقبة الصحة العامة من حيث الأغذية والأسواق والمياه المعبأة والصحة المهنية وسن التشريعات النظامية وتطبيق العقوبات الخاصة بصحة البيئة والصحة المهنية . وهناك هيئات ووزارات لها دور أساسي في مجال البيئة وصحتها حسب الجدول ١ : ١

جـــــــــــدول ١ : ١

| إسم الهيئة | دور الهيئة | اسم الجهة التابعة لها |
| --- | --- | --- |
| مـــصلحـــة الأرصــــــاد وحماية البيئة | سن التشريعات ووضع المواصفات والمقاييس وخصوصاً لتلوث الهواء والماء والتــربة وعــمل الأبحــاث الخاصة بهذا المجال | وزارة الدفاع والطيران |
| إدارة صــحــة البيئة بالبلديات | مراقبة الصحة العامة ( أغذية - عمال أغذية مياه معبأه - شبكات مياه - الأسواق المختلفة - الصحة المهنية . | وزارة الشـــئـــون البلدية والقروية |
| مراكز الرعاية الصحية الأولية | تحليل شـبكات المـيـاه - تعـقـيم الخزانات عند الضرورة - التوعية الصحية - مكافحة الأمراض المعدية - مـراكـز الملاريا والاستـمـانيـا - الطفيليات . | وزارة الصحة |
| شعبة المكافحة - الســلامــة والوقاية | مراقبة المبيدات الحشرية والزراعية ومـبـيـدات الآفـات - تلوث المياه المختلفة - تلوث التربة . | وزارة الزراعة والمياه |
| إدارة البيئة | مراكز خاصة لهيئات خاصة للتحكم في تلوث البيئة ودراسة آثار إنتاجها على صحة الإنسان وبيئته . | الهيئة الملكية للجبيل وينبع- وزارة البـتــرول والثـروة المعـدنـيـة - شـركـة آرامكو الســعـــودية - وزارة |

| إسم الهيئة | دور الهيئة | اسم الجهة التابعة لها |
| --- | --- | --- |
| | | المواصلات ( النقل الجوي) - شركات بترول وبتروكيماويات مختلفة |
| كلية الأرصاد وعلوم البيئة<br>كلية العلوم<br>معهد البحوث | منح درجة بكالوريوس - ماجستير في علوم البيئة المختلفة - عمل أبحاث في البيئة<br>دراسات وأبحاث في مجال البيئة<br>دراسات وأبحاث في مجال البيئة | جامعة الملك عبد العزيز<br>جامعة الملك سعود<br>جامعة الملك فهد للبترول والمعادن |
| معهد أبحاث البيئة والمياه | تمويل الأبحاث المختلفة للصحة والبيئة وعمل أبحاث ودراسات بيئية | مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية |
| الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها | تمويل أبحاث - عمل دراسات بيئية - حماية الحياة الفطرية - محميات برية وبحرية - إعادة توطيد الحياة الفطرية | الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها |
| الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس | وضع المقاييس والمواصفات لجميع الأغذية المختلفة والصناعية والتجارية المحلية والمستوردة . | وزارة التجارة |

وتجتمع هذه الهيئات أو بعض منها لدراسة ومناقشة ظاهرة بيئية ومشكلة معينة، بالإضافة إلى وجود لجان دائمة بين بعض الوزارات . وقد أنشأت في المملكة العربية السعودية لجنة وزارية للبيئة في عام ١٤١٠هـ برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، وعضوية بعض الوزراء ذوي العلاقة وبعض المتخصصين في البيئة وتقوم هذه اللجنة بدراسة التقارير الخاصة بالبيئة ووضع الخطط المرحلية والمستقبلية لتحقيق أهداف الدولة في المحافظة على البيئة .

ودور الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج جيد في مجال التنسيق بين دول المجلس في أمور متعددة، من ضمنها صحة البيئة. وخلال السنين الماضية كانت الأمانة مشرفة على برنامج المدن الصحية في دول المجلس والتعاون مع الدول العربية في هذا المجال، واعتقد أن للأمانة دوراً لابد من الانتباه له ، وهو زيادة نشر الوعي الصحي والبيئي بدول المجلس ، حيث إن الدور يعتمد على برامج محدودة ذات أهداف قصيرة الأجل ، حيث إن التوعية هي الأساس والمحور الرئيسي للمحافظة على البيئة لرفع مستوى إحساس المجتمع للمساهمة والمشاركة مع الدولة في مجال المحافظة على صحة البيئة بعناصرها المختلفة من هواء وماء وتربة .

وتلوث الهواء الناتج عن الملوثات الاصطناعية المختلفة بفعل الانسان كانت هي محط أنظار العلماء منذ أوائل الخمسينات حتى وقتنا الحاضر، ويعتبر التلوث بالرصاص في الهواء في المملكة العربية السعودية مرتفعا مقارنةً بارتفاعه في الدول الأوروبية المتقدمة صناعياً مع وجود بعض التركيزات المرتفعة في بعض الأحياء المزدحمة بالسيارات ، خصوصاً في بعض مناطق المملكة الكبرى كالرياض وجدة والمنطقة الشرقية . وقد بلغ متوسط تركيز الرصاص في الهواء في المناطق المزدحمة بالسيارات في مدينة الرياض ٥ر٣ ميكروجرام / م٣ وفي المناطق السكنية ٦ر٠ ميكروجرام/ م٣. وفي دراسة أخرى لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة وجد أن نسبة الرصاص في الهواء في بعض الأحياء المزدحمة تتراوح بين ٧ر٠ - ٤ر٢ ميكروجرام/ م٣. وتعتبر النسبة في الرياض وجدة عالية نسبياً وأدت إلى ارتفاع نسبة الرصاص في دماء الأطفال في المدارس الموجودة في مكان الدراسة، حيث وجدت تتراوح بين ٥ر٩-٥ر١٠ ميكروجرام/ ١٠٠ ملل من الدم ، وكانت ضعف ذلك في

العينات الفردية ، وقد وجدت إحدى الدراسات ترسبات للرصاص في عظام الأطفال لـ ٩٠٪ من العينة الكلية .

ويعتبر الرصاص سواء الموجود في الهواء - الغذاء - البويات و الأجهزة المختلفة ذات تأثير كبير وسلبي على صحة الأطفال سواء في العظام أو عند وصوله إلى الدماغ ، حيث يؤثر على الجهاز العصبي لهم وبالتالي النتائج السلبية على القدرات الفردية لديهم .

وقد خطت المملكة العربية السعودية خطوة إيجابية نحو تركيز الرصاص في البيئة وخصوصاً الموجود عن طريق وقود المحركات ، فقد خففت نسبة الرصاص في البنزين عام ١٩٨٧م من ٨٤ر . جم / لتر ، إلى ٦ر . جم / لتر في عام ١٩٨٩ ثم تخفيضه من ٦ر . جم/ لتر إلى ٤ر٠ / لتر وسيتم انتاج بنزين خال من الرصاص وذلك للاستهلاك المحلي عام ١٩٩٦-١٩٩٨م وذلك عند الانتهاء من مشروع تحديث المصافي .

ومن حيث تلوث الهواء بدخان المصانع منذ قامت المملكة ببناء المدن الصناعية خارج المدن ، بحيث يكون هناك دراسة مستفيضة عن تأثير الملوثات الناتجة عن المصانع المستقبلية بحيث تشمل الدراسة الرياح الموسمية في المنطقة ذات آبار المياه السطحية أو الجوفية ونسبة الأمطار والظواهر الجغرافية بالمنطقة ، بحيث لايكون هناك تأثير من هذه المدن الصناعية على المدن السكانية والاهتمام برفع مداخن المصانع واستخدام الفلاتر والمرشحات الخاصة بترسيب بعض الملوثات داخل المنشأة .

وهناك تنسيق مباشر بين وزارة التجارة والصناعة ووزارة الدفاع والطيران (مصلحة الأرصاد وحماية البيئة) ، ووزارة الشئون البلدية والقروية ووزارة الصحة للدراسات والتحليل المستمر للملوثات بهذه المدن . وتقوم بعض المصانع الوطنية بدعم بعض الدراسات الخاصة في هذا المجال .

وحيث إن استخدام المبيدات الحشرية والزراعية ( مبيدات الآفات) لها أيضاً دور واضح في تلوث الهواء ، قامت وزارة الزراعة والمياه بسن القوانين والتشريعات الخاصة باستخدام المبيدات وطرق استخدامها وأماكن استخدامها وأوقات رشها والطرق الآمنة للرش ، ومعظم المزارع الكبيرة ، والتي تستخدم كميات كبيرة من المبيدات فهي خارج المدن الآهلة بالسكان. وهناك اتجاه حديث لتوعية المزارعين

بأهمية استخدام المبيدات الطبيعية والعضوية والتي يقل تأثيرها على البيئة والإنسان بكثير من الأخرى الكيمائية والتي قد يكون لها تأثير مباشر منفردة أو مجتمعة مع الملوثات الهوائية الأخرى على صحة الإنسان، فقد أوردت كثير من الدراسات أن هناك علاقة قوية بين الأمراض الصدرية - الأمراض النفسية - أمراض الجهاز العصبي - الجهاز الهضمي وتلوث الهواء، ولاتقتصر صحة الإنسان على سلامة الهواء الذي يتنفسه بل أيضاً على التربة التي يعيش عليها ويتغذى من إنتاجها. والتربة جزء لا يتجزأ من البيئة ومصدر متجدد من مواردها يمكن لنا أن نتحكم به ونسيطر عليه ونؤثر فيه بطريقة كبيرة والتي قد تؤدي إلى تلوثها وتغير مكوناتها، وبالتالي تدهورها. ويعتبر الماء والهواء من مكونات التربة وأي ملوثات للهواء والماء يعتبر تلوثاً للتربة بالإضافة إلى مخلفات المجاري ومخلفات المصانع وغيرها، وبالإضافة إلى ذلك فإن المبيدات الكيماوية وخصوصاً ذات المفعول طويل الأجل والتي تظل في التربة لعشرات السنين لها التأثير السلبي على صحة الإنسان. وقد قامت وزارة الزراعة والمياه كما ذكرنا سلفا بوضع القوانين الخاصة بالاستخدام من حيث استخدام النسب والنوعيات المسموح بها - تهوية التربة جيداً بالحرث الجيد - الري بالطرق المنظمة حسب حاجة المحصول والصرف الجيد لها، ومحاولة إتلاف النفايات الزراعية بالطرق التي تقلل حجم تأثيرها على البيئة المحيطة لموقع الإتلاف أو معالجتها وإعادة استخدام بعضها إلى أسمدة عضوية، وذلك في بعض مناطق المملكة. أما النفايات الصناعية فهناك دراسات واسعة لتأمين طريقة التخلص الصحيح منها، وتقوم بهذه الدراسة وزارة الصناعة والتجارة وبعض الجامعات ذات العلاقة، ولكن هناك طرق مستخدمة حالياً للتخلص من النفايات البلدية وذلك عن طريق الطمر الصحي - إعادة التدوير للقمامة لإعادة إستخدامها - وقد استلمت بعض الشركات الخاصة مشاريع بهذا الخصوص من وزارة الشئون البلدية والقروية. ويوجد في الوقت الحاضر مصنعان في المملكة العربية السعودية لإعادة استخدام بعض المخلفات في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة حائل.

ويتم التخلص من النفايات الخارجة من المستشفيات بطريقة الحرق أو الطمر مع المخلفات البلدية ولكل من هذين النوعين تأثير على صحة الإنسان والبيئة. مع أن هناك لجنة مشتركة بين كل من وزارة الصحة ووزارة الشئون البلدية والقروية لإلزام

المستشفيات الخاصة والحكومية بالتقيد بالتعليمات الصادرة بخصوص التخلص من النفايات الطبية حتى يتم الانتهاء من المشروع الخاص بها .

وتلوث المياه من المشاكل البيئية المنتشرة على مستوى مياه الكرة الأرضية . والمملكة العربية السعودية تعاني القليل من هذه المشكلة حيث إن المشكلة تنحصر في بعض الآبار في بعض المناطق كون التلوث الذي بها طبيعياً وليس صناعياً . أما زيادة نسبة الأملاح أو المعادن بها ، فتقوم وزارة الزراعة والمياه بتحليل مياه الآبار وتحديد الصالح منها للاستهلاك الأدمي سواءً من الناحية الجرثومية أو الكيميائية . ويوجد في المملكة حالياً كم كبير من مصانع المياه المعبأة والتي يستخدم في تعقيمها غاز الأوزون ، ويوجد الكلور في مياه التحلية بنسبة قليلة جداً لاتتجاوز ٢ . ر . ج م م عند وصوله للمستهلك يتطاير الجزء الأكبر منه عند الأربع والعشرين الساعة الأولى والتي يكون قد ضمن فيها صلاحية المياه المشتركة مع مياه التحلية في بعض المدن .

وتعتبر مياه الصرف الصحي من المياه الملوثة والتي قد تصل إلى بعض الآبار في مناطق المملكة ، وقد أكدت التصاميم الخاصة والصادرة من وزارة الشئون البلدية والقروية على أهميةالتخلص من هذه المياه في الأماكن البعيدة والخارجة عن الأماكن الأهله بالسكان ، حتى يتم الانتهاء من المرحلة الأخيرة من المعالجة والتي يتم فيها استخدام المعالجة الثلاثية لمياه الصرف الصحي والتي يمكن استخدامها لري الحدائق والمنتزهات والأماكن الترفيهية الأخرى .

ومن حيث مراقبة الأغذية وضمان سلامتها قامت الشئون البلدية والقروية بوضع النظم الخاصة بمراقبة الأغذية وذلك عن طريق إدارات صحة البيئة المنتشرة في جميع بلديات المدن والمجمعات القروية ، ويدير هذه الإدارات مراقبون صحيون مؤهلين لما أوكل إليهم مع الإستفادة من الخبرات المحلية و الخارجية في الوزارة لوضع الخطط المستقبلية لمراقبة الصحة العامة بصفة خاصة ، ويتم إتلاف كميات كبيرة من المواد الغذائية غير الصالحة للاستهلاك الآدمي ويتم نشر ذلك في الصحف كرادع وواعظ للمواطنين . وهناك كثير من مكتسبات الألوان والمذاق والرائحة الممنوع دخولها للمملكة ، ويحرم إستخدامها حيث أثبتت التجارب المعملية على فئران التجارب سلبية هذه المواد ، وكذلك فإن المواد الحافظة لها نفس التأثيرات مثلها مثل مكسبات الألوان ، بل قد يزيد تأثيرها والتي قد يؤدي بعضها إلى بعض أنواع

السرطان ، وخصوصاً لو تعدى تاريخ نهاية الصلاحية للاستهلاك االآدمي وتم استخدامه بعده بزمن كبير .

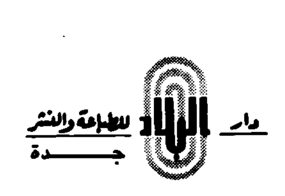
ومن هنا تأتي أهمية دور إدارة صحة البيئة بالبلديات لمتابعة تاريخ صلاحية هذه المواد ، ومع أن هناك طرقاً حديثة لحفظ المواد الغذائية كاستخدام أشعة جاما ، ولكن حسبما ذكرنا سلفاً بأن "الشك منتج طبيعي للنشاط العلمي " ولا نعلم حتى تاريخ تأثير الاستخدامات الحديثة لحفظ الأغذية وتأثيرها المستقبلي على صحة الإنسان وبيئته .

ولكي ندلك ما على البيئة من آثار على الإنسان نورد هذين المثالين :

ففي عام ١٩٨٥ في فرنسا دل تقرير نائب محافظة فوج أن تدهور الأبار والبحيرات لديهم ، مثله كمثل تآكل المواد والمباني ويعتبر ذلك تفسيراً مقبولاً مع ما اعتبره علماؤهم من أن المسؤول الأساسي عن ذلك تساقط الأمطار الحمضية ومع ذلك فهناك اشتباه كبير في الرواسب الجافة من مصادر انبعاث قريبة منها .

والمثال الآخر كان في عام ١٩٧٠م عندما جاء ظهور الطائرات المدنية ذات السرعة المتجاوزة لسرعة الصوت وحدا ذلك ببعض الباحثين الأمريكين إلى استرعاء النظر إلى احتمالات القضاء على طبقة الأوزون العليا ، وقد أثبت لاحقاً لهذه الظاهرة بأن الطائرة ذات السرعة المتجاوزة سرعة الصوت تخلق أوزونا أكثر مما تقضي على هذه الظاهرة .

ونود الإشارة في الخاتمة بأن حكومة خادم الحرمين الشريفين بالمملكة العربية السعودية ، لم تألو جهداً للمساهمة في المحافظة على البيئة سواء على النطاق المحلي - الإقليمي ، أو حتى الدولي . ويأتي دور المجتمعات في المقام الأول سواء في المملكة أو في دول مجلس التعاون الخليجي للنهوض بما تقدمه دول المجلس ، لما يخدم إستمرارية التحكم في الظواهر البيئية لحمايتها وحماية صحة الإنسان وعدم تدهورها ولو انتظرنا غداً لفات الأوان .


دار البلاد للطباعة والنشر
جـــدة